ريدان

محكّمة تُعنى بنقوش المسند وآثار اليمن وتاريخه

العدد الثامن عشر – ربيع أول ١٤٤٧هـ / سبتمبر ٢٠٢٥م

وادي مذَاب يتكلم

الهيئة العامة للآثار والمتاحف

صنعاء – الجمهورية اليمنية

ريدان

محكّمة تُعنى بنقوش المسند وآثار اليمن وتاريخه

تأسست سنة ١٩٧٨م

العدد الثامن عشر – ربيع أول ١٤٤٧هـ / سبتمبر ٢٠٢٥م

المشرف العام

رئيس الهيئة العامة للآثار والمتاحف

عُباد بن علي الهيّال

رئيس التحرير

أ.د.علي محمد الناشري

مدير التحرير

أ.د.عبدالحكيم شايف محمد

تصحيح لغوي

إبراهيم محمد زايد

التنسيق والإخراج الفني

آمال عبدالله الخاشب

الهيئة الاستشارية :

أ.د.إبراهيم محمد الصلوي

أ.د.إبراهيم أحمد المطاع

أ.د.عبدالله عبده أبو الغيث

أ.د.محمد سعد القحطاني

أ.د.منير عبدالجليل العريقي

أ.د.فيصل محمد البارد

الهيئة العامة للآثار والمتاحف

General Organization of Antiquities and Museums

صنعاء– الجمهورية اليمنية

ريدان

رقم الايداع بدار الكتب الوطنية-صنعاء

(٢٠٢٣/٢٣٦)

بترخيص من وزارة التعليم العالي والبحث العمي

(٧٣ لسنة ١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م)

ISSN

1015-4523

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

صدق الله العظيم

{ التوبة ١٢٨ }

المحتويات

شروط النشر ٤

افتتاحية العدد ٥

عُباد بن علي الهيال

وادي مَذاب يتكلم ٧

نقوش ١١

علي محمد الناشري

نقوش جديدة من عهد الملكين الكمنيين عم علي حلك وأخيه مهاقم ردعان ١٣

محمد مسعد أحمد الشرعي

نقوش يمنية قديمة من مدينة كمنا وادي الجوف ٤٧

هديل يوسف الصلوي

نقوش معينية جديدة ٧٩

أنور محمد يحيى الحاير

نقوش جديدة من عهود مُلوك مَعين ١٠٥

علي ناصر صَوَّال

أربعة نقوش معينية من محافظة الجوف: دراسة وتحليل للمادة اللغوية والتاريخية.....١٥٧

فيصل محمد إسماعيل البارد

نقوش مسندية جديدة من مدينتي نشَّان ونشق (دراسة تحليلية) ٢٠٣

رياض عبدالله عبدالكريم الفرح

نقوش قتبانية جديدة من مخلاف عمار (مديرية الرضمة، إب) ٢٥٩

دراسات _____ ٢٩٥

أدهم عبدالله محمد نجيم

رسوم وزخارف معابد وادي الجوف صورة من الأدب الديني في اليمن القديم (دراسة أثرية فنية) ٢٩٧

عبدالله حسين العزي الذفيف

الاسترقاق بالدَّينِ والخِصاءُ في اليمن القديم

دراسة تاريخية اجتماعية في ضوء نقش سبئي من (بَضعة) في قاع البون/ عمران ٣٣١

علي سعيد سيف

التأثيرات المعمارية الوافدة على العمارة اليمنية في العصر الإسلامي ٣٥٧

دراسات

التأثيرات المعمارية الوافدة على العمارة اليمنية في العصر الإسلامي

*علي سعيد سيف

الملخص : تعدّ العمارة اليمنية إرثاً ثقافياً فريداً، إذ تعكس تنوع الثقافات التي تأثرت بها، كما يعد اليمن وجهة تاريخية للعديد من الشعوب والتجار والإمبراطوريات، التي تبادلت الخبرات والأفكار والتقنيات المعمارية، وقد أدت هذه التبادلات إلى تشكيل العمارة اليمنية وتطويرها، بما فيها من تأثيرات وتداخلات مع الثقافات الأخرى.

وقد تطورت العمارة اليمنية على مر العصور من خلال التأثير المتواصل للثقافات الأخرى، ويعود ذلك إلى موقع اليمن الاستراتيجي كمركز تجاري، إذ اجتذبت العديد من الثقافات والحضارات، وكانت نقطة تقاطع للتجارة والتبادل الثقافي، فتأثرت العمارة اليمنية بتلك التداخلات واستوعبتها في تصاميمها وبناء هويتها المعمارية، فكان منها التأثير الأموي والعباسي والفاطمي والأيوبي والمملوكي والعثماني والهندي.

المقدمة: لم تكن اليمن بمنأى عن عواصم الخلافة الإسلامية سواء في المدينة المنورة أو دمشق أو بغداد أو القاهرة فكان لها دور كبير في نقل الثقافة والحضارة إلى تلك العواصم، ففي أثناء الفتوحات الإسلامية خرج من اليمن المدد الإسلامي فكان منهم المهندس المعماري والمدني والنجار والنساج والدباغ وكثير من الحرف والمهن التي كان يمتهنونها في مناطقهم، فكان لهم دور كبير في تشييد المدن الأولى في الإسلام مثل البصرة والكوفة والفسطاط، ولذا فمنذ قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة وتأسيس العمارة الإسلامية علي يد المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم عندما وطئت قدماه المدينة المنورة

* أستاذ الآثار الإسلامية- جامعة صنعاء

قام بتأسيس المسجد النبوي في المدينة فوضع عليه الصلاة والسلام أول لبنة في العمارة الإسلامية بيده الشريفة وكان المسجد بسيطاً ثم توسع المسجد.

وعند تحويل القبلة في ١٥ شعبان من السنة الأولى للهجرة تحولت القبلة واكتسب المسجد تخطيطاً جديداً مكوناً من صحن وظلتين، وفي عهد الخليفة عثمان أصبح المسجد مكوناً من صحن وثلاث ظلات، ثم تطورت العمارة في عهد الدولة الأموية وبالتحديد في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٥ – ٩٥ للهجرة) تطور المسجد تطوراً كبيراً حيث أصبح المسجد مكوناً من صحن وأربع ظلات وخاصة بعد أن تم إدخال بيوت النبي ضمن المسجد وهذا التخطيط أصبح التخطيط التقليدي لجميع مساجد الأمصار الإسلامية.

ثم توالت التأثيرات الوافدة على العمارة اليمنية في كل العصور بدءاً من العصر الأموي وحتى العصر العثماني، إلا أن هذه التأثيرات لم تكن تأثيرات جذرية على العمارة اليمنية في العصر الإسلامي، فقد كان للسمات المحلية والعمق الحضاري لليمن الدور الأساسي في صبغة العمارة الإسلامية بالصبغة المحلية، ولعل ذلك ما يميز العمارة اليمنية في العصر الإسلامي بمميزات منها إن اليمن كانت في طليعة من لبى الدعوة الإسلامية، ومن ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم ببناء مسجد فيها في صنعاء والذي يعد أقدم مسجد خارج المدينة المنورة.

ثم توالى بناء المساجد في عهد الخلفاء الراشدين والدول التي تعاقبت على حكم الأمة الإسلامية، وقد احتفظت اليمن بالتخطيط العام للمساجد الجامعة إلا أنها تميزت عن غيرها بأن اتخذت أسلوب الأعمدة التي تحمل السقف مباشرة دون وجود بوائك

تحمل عقوداً وقد تمثل ذلك في جامع شبام كوكبان وجامع جبلة، ويلاحظ حجب الأروقة في مساجد اليمن عن الصحن والذي يعود إلى أسباب بيئية لحماية المصلين من البرد.

وقد استخدمت الأعمدة وتيجانها من المنشآت السابقة على الإسلام، ومنها ما هو واضح في جامع صنعاء بأن استخدمت الأعمدة من قصر غمدان وكنيسة القليس وتشاهد تلك الأعمدة المطلة على الصحن، إضافة إلى ذلك تميزت العمارة اليمنية الدينية بوسيلة تغطية المساجد بالأسقف الخشبية التي ازدانت بالزخارف الخشبية وفق أسلوب فني ظهر في اليمن منذ وقت مبكر، حيث يعرف بالمصندقات الخشبية، بمعني تقسيم السقف إلى مساحات مربعة ومستطيلة تغشى بالزخارف الغائرة والبارزة والمطعمة والمكونة من الزخارف النباتية والهندسية والكتابية والتي ظهرت في اليمن قبل غيرها من البلدان الإسلامية، ومن أمثلة ذلك الجامع الكبير بصنعاء وجامع شبام كوكبان وجامع جبلة وجامع إب وجامع ظفار ذيبين وغيرها.

كما تميزت العمارة اليمنية باستخدام القباب في تغطية المباني الدينية من مساجد ومدارس وأضرحة، وقد سبق هذا النوع من التغطية الوجود العثماني في اليمن، إذا نشاهد ذلك في قبة محمد بن الهادي بثلا وقباب المدارس الرسولية بتعز، فضلاً عن ذلك نجد أن معظم هذه المنشآت تزدان بشتى ضروب الزخرفة وذلك بدرجة لافتة للنظر، إذ كان للمعمار والفنان اليمني الدور البارز في هذا المجال إذ تغشى مساحات المسجد والمدرسة والقبة والضريح بالأشرطة الكتابية المنفذة بالخط الكوفي والنسخي والمتضمنة الآيات القرآنية والأدعية النبوية والنصوص التسجيلية إلى جانب الزخرفة النباتية والهندسية، كما عمد البناء إلى استخدام المواد المحلية في بناء منشآته الدينة من الحجر وخاصة الحبش كما يظهر ذلك جلياً في جامع صنعاء الكبير والآجر والجص والنورة.

أما المئذنة اليمنية فهي على جانب كبير من الأهمية نظراً لتميزها عن غيرها من مآذن العالم الإسلامي لتكوينها المعماري من قاعدة مربعة وبدن قصير مثمن، ثم بدن طويل مستدير ومضلع، ثم شرفة واحدة وبدن مضلع قصير فتح فيه باب المؤذن وخوذة من قبة وشحت المئذنة بالزخارف الهندسية المكونة من الآجرية والجص والتي غلب عليها استخدام المعين والمربع والمثلث المنفذ بالآجر، ومع ذلك فإن بلاد اليمن لم تكن بمنأى عن التأثير الوافد عليها والذي سنجمله على النحو الآتي:

أولاً: التأثيرات الوافدة على العمارة اليمينة في العصر الأموي (الشام):

أ – تأثيرات المسجد النبوي على عمارة المساجد الجامعة في اليمن:

أسس العمارة الإسلامية المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم عندما وطئت قدماه المدينة المنورة، حيث قام بتأسيس المسجد النبوي في المدينة فوضع عليه الصلاة والسلام أول لبنة في العمارة الإسلامية بيده الشريفة وكان المسجد بسيطاً مكوناً من صحن وظلة فقط، ثم توسع المسجد وعند تحويل القبلة في ١٥ شعبان من السنة الأولى للهجرة اكتسب المسجد تخطيطاً جديداً مكوناً من صحن وظلتين، وفي عهد الخليفة عثمان أصبح المسجد مكوناً من صحن وثلاث ظلات[١]، ثم تطورت العمارة في عهد الدولة الأموية وبالتحديد في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٥ – ٩٥ للهجرة) تطور المسجد تطوراً كبيراً حيث أصبح المسجد مكوناً من صحن وأربع ظلات[٢] وعمم

١ السمهودي، علي بن عبد الله، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، القاهرة ١٩٠٩م. ص ٢٥٨.
٢ محمد، غازي رجب، المسجد الجامع في المدينة العربية الإسلامية، ص٢.

هذا التخطيط على جميع المساجد الجامعة في جميع الأمصار، ومنها مسجد صنعاء الكبير الذي أمر بتوسعته الوليد بن عبد الملك وأصبح تخطيطه مكوناً من صحن وأربع ظلات.

ب ـ التأثيرات المعمارية على الجامع الكبير بصنعاء:

والجامع الكبير بصنعاء شأنه سائر المساجد الجامعة الأولى في العالم الإسلامي من حيث تعرضها للتوسعات والأعمال بشكل مستمر من الولاة والخلفاء كونها المساجد الرئيسية للمدن والأمصار لكن الجامع الكبير بصنعاء بشكله الحالي يرجع إلى عمارة الوليد بن عبد الملك ٨٧هـ، حيث تصف الروايات مئذنته ومحرابه وتقسيمه إلى صفوف من الاعمدة تحمل عقوداً تسير موازية لجدار القبلة ، وحدث ذلك في عهد وهب بن منبه الذي كان قاضياً لصنعاء، حيث أشار عند إعادة بناء جدار القبلة بالتوجه جبل ضين، ورغم الأعمال التي تمت بعد ذلك إلا أنه احتفظ بالسمات التخطيطية لعمارته في عهد الوليد وهو ما يميزه عن المساجد الجامعة الأخرى التي بنيت في اليمن لاحقاً، فقد كان المسجد في تخطيطه الأول عبارة عن مربع طول ضلعه ١٢م به مدخل واحد مقسم من الداخل إلى ثلاث بلاطات بواسطة اثني عشر عمودًا منها المسمورة والمنقورة[١]، ولم ترد أي إشارات لتوسعة الجامع في عهد الخلفاء الراشدين.

فكانت التوسعة التي نقلت القبلة إلى الشمال وأخذ فيها الجامع شكله الحالي في عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ /٧٠٥-٧١٥م) وذلك على يد واليه على صنعاء

١ معين عبد الملك سعيد، تأثير فترة بني رسول على العمارة الإسلامية اليمنية "دراسة حالة المسجد والمدرسة" رسالة دكتوراه جامعة القاهرة ٢٠١٠م ص ٥٨، المنقورة والمسمورة من الأعمدة القديمة في الجامع ضمن أعمدة الرواق الجنوبي للجامع حيث مساحة الجامع الأصلية، مصطفى، شيحة، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية العربية اليمنية، ١٩٨٧، القاهرة ص ٣٠.

أيوب بن حسن الثقفي[١]، ونتيجة لأهمية الجامع فكانت توجيهات مركز الخلافة في دمشق في العصر الأموي لتوسعة الجامع وتخطيطه ممتثلاً تخطيط المسجد النبوي حيث تم توسعة رواق القبلة ليتكون من خمسة أساكيب[٢] موازية للقبلة ومحمولة على عقود وهو ما يشبه اتجاه الأساكيب في الجامع الأموي[٣] (شكل١)، وهذا النوع من التخطيط لم نشاهده بعد ذلك في عمارة المساجد الجامعة في اليمن كمسجد شبام كوكبان ومسجد ذي أشرق ومسجد جبلة[٤]، وهذه الأساكيب في الجامع الأموي واستعمال تقنية العقود ويبدو أن هذه التقنية لم تكن محلية الطراز، حيث لم نرها بشكل متكرر ولفترة طويلة وإن كانت (فينستير)[٥] تؤكد على عدم محلية هذا الطراز فإنها تشير إلى وجوده في (كنيسة القلُيس) من قبل والتي أعيد استعمال بعض من أعمدتها ولكنها تشير إلى عدم استمراريتها وتأثيرها على العمران الديني لاحقاً.

ويمكننا أن نشير إلى مركزية العالم الإسلامي في ذلك الوقت حيث إن حركة التعمير التي كانت في عهد الوليد شملت العالم الإسلامي كاملاً بما فيها تعمير المسجد النبوي على يد عمر بن عبد العزيز والي المدينة وظهور عناصر كالمحراب في تلك الفترة مما جعل انتقال الأشكال في عهد الدولة المركزية يختلف عنه بعد استقلال الأطراف، وبالنسبة إلى اليمن فإن كثيراً من المساجد في المدن الرئيسية كانت تبنى بتوجيهات من الولاة الذين غالباً ما

---

١ Serjeant,R.B& Lewcock, Ronald SAN'A an Arabian Islamic City,England,1983

٢ الأسكوب، هو المساحة المحصورة بين صفين من الأعمدة أو صف وجدار القبلة.

٣ البهنسي، عفيف، الجامع الكبير بصنعاء، جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس، الطبعة الأولى مطابع المستقبل، بيروت ١٩٩٦، ص٨٠.

٤ عبد الله كامل موسى، الجامع الكبير بصنعاء، مجلة الإكليل، العدد الأول، وزارة الثقافة، صنعاء، ١٩٩٢)، شيحة، مصطفى، مرجع سابق. ص٣٢.

5 Finster,Barbara, An Outline of the History of Islamic Religious Architecture in Yemen, Previous ref P127-128 .

يكونون على علاقة بالمركز وقد ناقش (جوناثان بلوم) آلية انتقال التصاميم والأفكار التقنية في العمارة الإسلامية المبكرة وذلك في العهد الأموي والعباسي، حيث تتعدى الملاحظة البصرية والتوجيهات الشفوية إلى إرسال تصاميم مسبقة من العاصمة دمشق[١]. إلا أن الجامع الكبير بصنعاء يشكل مرجعاً لعناصر التسقيف التي تغطي طرزاً زخرفية مختلفة من الأعمدة والمواد المستخدمة منذ العهود الإسلامية المبكرة، هذا إلى جانب أن العمارة الأموية ارتكزت على العمارة البيزنطية والساسانية ومنها الشرفة، التي تعد من العناصر المعمارية الزخرفية الهندسية التي نراها في كثير من المباني القديمة والقلاع التاريخية، وقد ظهرت في الحضارتين الساسانية والرومانية تتوج واجهات مبانيهم، وهي وحدات هندسية متكررة تحيط بأعلى ذروة المباني في العمارة الإسلامية، وأحياناً تستبدل الذروة بهذه الشرافات فنراها في كثير من المباني القديمة والقلاع التاريخية وفي المساجد القديمة والحديثة والقصور القديمة والأبراج، كما تعد من العناصر الأساسية في العمارة الإسلامية، ويرجع أقدم أمثلة الشرافات في العصر الإسلامي إلى العصر الأموي، حيث تتوج جدران القصور الأموية بالشام كقصر الخليفة هشام بن عبدالملك بخربة المفجر.

أما بالنسبة إلى اليمن فلا نستطيع تحديد بداية ظهور هذا الشرافات إلا أنها وجدت على العمائر المدنية والدينية على حد سواء، وربما أنها ظهرت في الجامع الكبير بصنعاء عندما وسعه الوليد بن عبد الملك وهذه الشرفات كللت الأجزاء العلوية من جدران المسجد الأصلي، ولكن هذه الشرافات أثرت عليه عوامل التعرية وتشاهد هذه الشرافات

1 Bloom,Jonatan,On Transmission of Designs in early Islamic Architecture, Muqarnas , Volume X , New Haven : Yale University Press, 1993 .P22، عن معين عبد الملك، المرجع السابق ص ٦٠ .

في كثير من المباني الدينية في اليمن منها جامع الجند وجامع جبلة وغيرها من المساجد اليمنية.

إلى جانب ذلك فقد اقتبس المعمار المسلم العقد النصف دائري والقبة وطور المعمار المسلم العناصر التي شيد بها مبانيه كالعقد المدبب بأنواعه.

ثانياً: التأثيرات العباسية الوافدة على العمارة اليمنية (العراق).

عندما قامت الخلافة العباسية لم تكن اليمن بعيدة عن التواصل الحضاري بينها وبين عاصمة الخلافة بغداد فقد أشرف على بناء بغداد الإمام أبو حنيفة النعمان الأصبحي، مما يدل على أن اليمنين كان لهم دور في بناء الحضارة الإسلامية وعند قيام دولة بني زياد التابعة للخلافة العباسية أمر الخليفة المأمون بتشييد مدينة زبيد على يد الأمير محمد بن زياد والذي شاهد مدينة بغداد فامر أن يكون تخطيط مدينة زبيد مدورة الشكل كمدينة بغداد حتى أن المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم سماها بغداد الصغرى تشبيهاً لمدينة بغداد، فقد جات المدينة مدورة يفتح فيها أربعة مداخل في الاتجاهات الأصلية، (شكل٢)، إضافة إلى أن التأثير العباسي على العمارة اليمنية لم يقتصر على المدن فقط، فقد اشتمل على العناصر المعمارية كالدعامات التي زينت أركانها بأعمدة مخلقة، كما هو موجود في أعمدة جامع سامراء الكبير وجامع أحمد بن طولون بالقطائع في مصر والذي يرجع إلى القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي وأثر على العمارة اليمنية فوجد في جامع الإمام الهادي بصعدة والجامع الكبير بزبيد، إلا أن التأثير الفني كان أكثر وضوحاً في الزخارف النباتية فقد مرت الزخارف بسامراء بثلاثة طرز فنية هي طراز سامراء الأول وهذا كان ذا التأثير البيزنطي والساساني والذي كان قريباً من الطبيعة، والطراز الثاني ابتعد فيه الفنان المسلم عن الطبيعة فقد أضاف إلى ورقة العنب وعناقيدها دوائر أو عيون

أخرجتها من طبيعتها أو في الطراز الثالث ابتعد الفنان تماماً عن الطبيعة فقام بالشـــطف المائل لحواف الورقة وعناقيد العنب وســـعف النخل ونفذت تلك الزخارف على مباني مدينة ســامراء وانتقلت إلى القطائع في مصــر ونفذت على الخشــب وفي اليمن كان المثل الصـريح لها منبر جامع ذمار (شـكل٣) الذي نفذت زخارفه تقليداً لزخارف طراز سـامراء الثالث ومنبر جامع الإمام الهادي بصعده وزخارف سقف الجامع الكبير بصنعاء وسقف الجامع الكبير بشبام كوكبان.

ثالثاً: التأثيرات الفاطمية على العمارة اليمنية (مصر):

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الصليحي في اليمن فنجد أن الدولة الصليحية كانت على وفاق تام مع الدولة الفاطمية في مصـــر فقد أثر تخطيط جامع الحاكم بأمر الله في القاهرة على نمط وتخطيط جامع الســيدة بنت أحمد بجبله، حيث كان المســجد في الأصــل مقراً للحكم ويسـمى دار العز الأولى عند تأسيس المدينة على يد عبد الله بن محمد الصـليحي ٤٥٨هـــ /١٠٦٥م وقد أمرت الملكة السيدة بنت أحمد بتحويله إلى مسجد جامع عند انتقالها من صنعاء عام ٤٨٠هـ /١٠٨٧م وهو نموذج للعمارة الدينية في العهد الصليحي، ويحمل عدداً من المؤثرات في النقوش والزخارف خصـوصـاً زخارف المحراب والضـريح وفي نفس الوقت ظل محافظاً على تخطيط عمارة المســـاجد اليمنية، حيث إن مقدم الجامع مقسـم بشـكل منتظم بأعمدة سـداسـية الأضـلاع مرتفعة تقوم عليها تيجان مكعبة ذات لون وردي في معظم الأحيان تحمل عوارض تقسـم السـقف إلى مصـندقات خشـبية زينت بالزخارف النباتية والكتابية والهندســـية وتزداد الزخارف كثافة في بلاطة محور المحراب،

وتقابله قبة على الرواق المطل على الفناء كتأكيد على محور المحراب ولكن من جهة صحن الجامع[١].

وقد استعملت الدعائم الطويلة لحمل السقف مباشرة وهو ما يشير إلى استمرارية هذا الطراز من الأعمدة في المساجد باستثناء الجامع الكبير بصنعاء، وربما كان السبب إتاحة المجال لرؤية زخارف السقف من أي زاوية وهو ما تحجبه صفوف الأعمدة وعقودها المتقاطعة رغم استخدامها في أماكن كثيرة في العالم الإسلامي واستعمال العقود كعناصر معمارية في كثير من المباني الدينية ويبقى تأكيد محور القبلة عنصراً مهماً ظهر في مساجد شمال أفريقيا ومصر[٢]، حيث نجد أن المجاز القاطع الذي يغطي بلاطة المحراب أرفع من سقف الجامع وهو عمودي على المحراب وقد ظهر في مساجد شمال أفريقيا، ويتضح أن تفاصيل الزخارف في جامع السيدة متشابهة مع نظيرتها في زخارف جامع الأزهر من خلال المجاز القاطع، إلا أن زخرفة المحراب تذكرنا بالزخرفة في مسجدي الحاكم والأزهر في مصر[٣] (شكل٤) وتبقى العناصر الرئيسية في تخطيط رواق القبلة ملتزمة بالنماذج التقليدية في العمران التقليدي للمساجد وتبرز المؤثرات في صحن الجامع والعناصر الزخرفية للمحراب.

وجامع السيدة بنت أحمد حمل الكثير من المؤثرات الفاطمية ومنها مجاز القبلة المميز والمرتفع عن سقف الحرم الرئيسي وينتهي بقبة عند الصحن ولم تظهر قبة على المحراب في

١ عبد الله كامل المرجع السابق ص ١٤٠ وما بعده.
٢ معين عبد الملك، المرجع السابق ص ٨٣، ٨٤.
٣ فينيستير، باربارة، مرجع سابق ص٥٩-٦٣.

المساجد اليمنية[١] وبقى سقف مقدم الجامع مميزاً بالزخارف الخشبية المحمولة على أعمدة كاستمرارية للنماذج المبكرة في عمارة المساجد اليمنية.

رابعاً: التأثيرات الإيرانية الوافدة على العمارة اليمنية:

رغم تشابه العناصر التصميمة الأساسية لجامع ظفار ذيبين مع جامع ذي أشرق من حيث التخطيط ورواق القبلة ذو الدعائم الرشيقة التي تحمل السقف المستوى الذي قسم إلى مصندقات خشبية مزينة بالزخارف المتنوعة، إلا أن هناك فروقاً توضح عملية التطور في استخدام التقنيات والمواد والنزعة الفنية في الزخارف المستخدمة .

أما بالنسبة للعقود المطلة على الفناء فإنها تعتبر طرازاً مميزاً في العمارة اليمنية بشكل عام والعمارة الزيدية بشكل خاص فالعقود الثلاثية ذات الدلايات لم تظهر إلا في العمارة الزيدية، ويعد جامع ظفار من أجملها من حيث النسب والأسبق من ناحية ظهورها في العمارة الزيدية كما ظهر في عقود الضلع الجنوبي لرواق القبلة لجامع الهادي وفي وحدات زخرفية في مدخل جامع ذيبين ومحراب جامع الأبهر، وفي البروز الزخرفي لمحراب مؤخر جامع الهادي[٢] (شكل٥) ويعتبر تفسير ظهوره واستخدامه غير محدد حيث تشير (فينستير) إلى كونه قد يحمل تأثيراً مغربياً (صفاقس أو القيروان) أو بوساطة مصرية فاطمية[٣]، إلا أن الإصرار على استخدامه في مواضع مختلفة مازال غير مفسر كما أن نسبه تعتبر فريدة ولا يوجد لها أشكال مناظرة إلا في مقبرة بالقرب من مشهد في رادكان

١ عبد الله كامل، المرجع السابق ص ١٤٠ وما بعده.

٢ معين، المرجع السابق ص ١٤٥.

٣ Finster,Barbara,An Outline,Previous ref p130 ٦٤ فينيستير، مرجع سابق، ص١٠٦حاشية.

(شكل٦)، وهو الافتراض الأقرب إلى الصواب نتيجة للمؤثرات القوية من تلك المنطقة في الزخارف وتشكيلات الآجر والخزف.

كما أن استخدام الزخارف الجصية على الواجهة وبشكل أشرطة تلتف حول العقود يعتبر تقنية حديثة من حيث استعمالها في الخارج لتزيين الواجهات وإن كانت استعملت في المحاريب وتيجان الأعمدة والعقود والبراويز فهي تحمل مؤثرات إيران وتركيا.

إن استعمال الزخارف والأشرطة الكتابية في جامع ظفار تحمل التأثير الإيراني بشكل أكبر ويمكن مقارنة ذلك بالنماذج الإيرانية المبكرة التي استعملت الزخارف الجصية في نايان ونايسبور وأردستان[١] كانت أجزاء منها ملونة وهو ما يمكن مقارنته ببقايا الأصباغ في بعض أجزاء الزخرفة الجصية في تيجان الأعمدة (شكل ٧) في واجهة رواق القبلة في الجامع أو في العقود الصماء التي تزين واجهة الضريح (شكل٨) ، ويعتبر جامع ظفار ذيبين ١٢٠٤-١٢١٣م نموذجاً لعمارة المساجد في الدولة الزيدية والتي حافظت على خصائص العمارة اليمنية من حيث التخطيط والإنشاء مع تطور للطرز الفنية المستخدمة في زخارف الوجهات ورواق القبلة المحمول على صفوف من الأعمدة الطويلة[٢]، ويتميز الجامع بطرز الأعمدة والتيجان والزخارف التي تبدو أكثر حداثة وتحمل خصائص الزخارف الجصية للعمارة الزيدية والتي حملت بعض المؤثرات من إيران.

1 Pope, Arthur Upham, Persian Architecture : the triumph of form and color, G. Braziller, New York , 1965. p 148

٢ علي سعيد سيف، جامع الإمام عبد الله بن حمزة بظفار ذيبين، مجلة مشكاة مصر، العدد ٣، ٢٠٠٨م.

ونشـــاهد أن الأروقة الجانبية أقل ارتفاعاً وربما يعود ذلك إلى أن هذه الأروقة بنيت بعد مقدم الجامع وأن الفناء كان مستقلاً وغير مندمج مع المسجد ويوجد به أقدم قباب ضريحية باقية في اليمن.

وطرز العقود مميزة ويضـــاف إليها عقود جامع الصـــومعة بحوث والتي تعود لنفس الفترة وتظهر بها قطع من الخزف الأزرق مندمجة بالزخارف الجصـــية، وكذلك في المئذنة المبنية بالآجر ذات التأثيرات السـلجوقية، ويلاحظ أيضـاً اسـتخدام الخزف الأزرق على شـــكل أطباق صـــغيرة في نفس العقود وفي بدن المئذنة، ويبدو أن هناك أماكن لها في زخارف الأطباق النجمية ولكنها سـقطت مع الزمن وهو ما يثير الدهشـة حيث يتضـح مدى متابعة الطرز الفنية الحديثة حتى ذلك الوقت إلا أن التخطيط العام مازال محافظاً على السـمات التقليدية في الأعمدة الطويلة التي تقسـم سـقف رواق القبلة[١] إلى مصـندقات مربعة على الرغم من تطوير تقسـيم الواجهات واسـتعمال الأقواس إلا أنها لم تنعكس على التنظيم الداخلي للجامع.

وتعتبر منارة جامع ظفار نموذجاً لاسـتخدام تقنية الآجر في بناء المآذن اليمنية وهي تشبه التقنية التي استخدمها السلاجقة في إيران إلا أن استخدام ثعابين تنتهي رؤوسها في أعلى بدن المئذنة يعتبر اسـتثناء ولا يوجد لها سـابقة، وتُزين نفس نوعية الخزف الأزرق أعلى المئذنة كما أن القبة الضـريحية وهي من أقدم النماذج القائمة في اليمن ترتكز على مسـقط مربع وتتحول عبر حنايا ركنية مباشـرة دون عنق وهي أقرب إلى النماذج الإيرانية منها إلى المصـرية (شـكل٩). وأخيراً يبقى المسـجد نموذجاً كوحدة متكاملة لفنون تلك الفترة ومازالت المصندقات الخشبية الرائعة للمسجد (شكل١٠) محتفظة بالتذهيب البراق

1 (Finster,Barbara,An Outline,Previous ref p130)

لأخشابها رغم عوامل الزمن مما يدل على وصول الفنيين في عمل الأسقف الخشبية إلى القمة ويدل على ذلك الطرز المختلفة والمتنوعة في سقف المسجد.

خامساً: التاثيرات السلجوقية على العمارة اليمنية (تركيا):

اتصفت المنشآت المعمارية في الحقبة السلجوقية بالضخامة والاتساع وكان لعصر الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/ ١٢٢٩/١٤٥٤م) في اليمن الكثير من المؤثرات العمرانية، وقد ظهر ذلك في مساجد ومدارس بني رسول، وكان للصلات الخارجية المختلفة سواء الثقافية والتجارية والمنبع التي قدم بها بني رسول دوراً مهماً في ذلك ليأتي بعد ذلك دور الخصوصية اليمنية في التقنيات والمواد والصلات الجديدة عبر البحر بالهند في إعطاء العمارة الدينية لبني رسول شكلاً مميزًا من ناحية تخطيط المساجد والمدارس بعناصرها المعمارية المختلفة وتقنيات زخارفها لتصبح بعض هذه العناصر طرزاً تتميز بها مدارس اليمن في العصور الوسطى وسنتناول هذه الصلات الخارجية وأثرها على عمران المساجد.

تحمل مناطق قدوم الرسوليين وهم من الغز (التركمان) مؤثرات سلاجقة الأناضول والزنكيين في الشام وشمال العراق ويشتركون مع الأيوبيين في تلك المؤثرات وإذا تناولنا المؤثرات على العمارة في فترة تأسيس الدولة الرسولية سنجد تأثيراً واضحاً من تلك المناطق في تخطيط النماذج الأولى للمسجد والمدرسة ونظراً لأن الطرز السلجوقية أخذت وقتًا لتصل لنماذجها المثلى في عمارة المساجد والمدارس مروراً بموطنها الأصلي في إيران وجربت وسائل تغطية مختلفة وعناصر تخطيط متعددة يجعل من الصعب تحديد الشكل المهيمن على تخطيط المسجد والمدرسة في القرن الثاني عشر الميلادي وهو الجزء الأهم للنظر في جذور الطرز السائدة في ذلك الوقت حيث طور كل من الزنكيين والأيوبيين طرزاً خاصة

تحمل جذور هذه المؤثرات ونقُلت مع الفتح الأيوبي لليمن[١]، حيث كان للقادة من الكرد والتركمان جزء كبير في تجسيدها في إنشاءاتهم ولكن بتقنية البناء والمواد المتوفرة محليًا لتبدأ مرحلة جديدة في بناء وتخطيط المساجد والمدارس في اليمن، والمدارس التي بنيت في الشام خلال القرن الثاني عشر الميلادي سواء في عهد الزنكيين أو العهد الأيوبي فكانت بشكل عام صغيرة الحجم وذلك نتيجة كثرة العدد والانتشار وهو ما جعلها بسيطة التخطيط مع عدم الميل إلى الزخرفة حيث انخرط الأمراء ونساء البيت الأيوبي في الإنشاء، وكانت قاعدتها الاجتماعية أكبر من أي بلد مناظر شهد بناء للمدارس في تلك الفترة وتفرض الوقفيات الخاصة بها بعض الشروط[٢]، كانت هذه أهم خصائص المدارس السورية كما تناولها الباحثون، ويبدو أن أوصاف مدارس الشام متطابقة مع المدارس اليمنية التي انتشرت بشكل واسع في العصر الأيوبي والرسولي وشارك فيها الأمراء ونساء البيت الرسولي والحاشية بشكل كبير وكان معظمها صغير الحجم نتيجة تباعد قرى وحواضر اليمن مع عدم الحاجة إلى بناء مدارس كبيرة إلا في المدن الكبرى وحسب إمكانية المنشئ حيث كانت معظم إنشاءات الملوك من المدارس الكبرى وإن كانت المدرستان الباقيتان للملك المنصور عمر مؤسس الدولة الرسولية في زبيد (المنصوريتان العليا والسفلى) مدارس صغرى حيث بنى عدداً كبيراً من المدارس الصغيرة والمساجد في قرى تهامة في سعيه لترسيخ المذهب السني وتخريج الفقهاء ورجال الدولة وتماشياً مع كون معظم مدارس اليمن تدُرس مذهباً واحداً.

---

١ معين، المرجع السابق ص ١٤٤

2 Hillenbrand, Robert, Islamic Architecture: Form, function and meaning, The American University in Cairo Press, Egypt : 2000. P190 عن معين، المرجع السابق ص ١٤٥.

لا تذكر المصادر النماذج الأولى للمدارس الأيوبية بالوصف وإن كان من المعتقد أن الأيوبيين هم من أدخل القبة في تغطية المسجد والمدرسة، إلا أنه لا توجد أية دلائل تشير إلى ذلك حيث إن المدرسة السيفية بتعز كانت داراً للأتابك سُنقر قبل أن يشتريها المعز ويحولها مدرسة ويدفن فيها والده طغتكين بن أيوب، وتحويل الدور إلى مدارس كان سائدًا في بعض الأمثلة المبكرة للمدراس في العالم الإسلامي، حيث لم تحدد المتطلبات الوظيفية للمدرسة سواء بالحاجة إلى سكن للطلاب أو هل تتطلب نموذجًا تخطيطياً يلبي هذه الوظيفة، حيث لم تتميز المدرسة عن المسجد في كثير من نماذجها الأولى وخاصة المدارس الصغيرة، وفي العمارة الرسولية هناك تماس واضح بينهما من حيث التخطيط والعناصر. وعمومًا فإن المدارس الأيوبية التي بنيت في مناطق ذات طبيعة عمرانية قوية كذي السفال وجبلة كانت تتبع الأسلوب السائد من الأسقف المستوية الخشبية وهو ما استمر حتى في الدولة الرسولية بينما الحواضر الجديدة كانت تتبنى العناصر الجديدة في التخطيط أسرع من غيرها.

وبالعودة إلى المنشئ فإن سلاجقة الأناضول اختبروا عدة نماذج في تخطيط المسجد والمدرسة وكان استخدام القبة التي تعلو المحراب عنصرًا مهماً في عمارتهم من إيران في أصفهان وأردستان وحتى الأناضول[١] حيث ظهرت في تغطية المساجد وأضُيف اليها الأواوين، ويمكننا أن نرى العنصرين معاً في مسجد الجمعة في زوارة ١١٣٥م (شكل١١)، حيث يشير (جودار) إلى أن السلاجقة أول من جمعوا بين القبة حيث قدمت العمارة السلجوقية ابتكارات التصميم المتماثل ذي الأربعة إيوانات في التخطيط[٢]، وأول إنشاء

١ آصلان آبا، أوقطاي، فنون الترك وعمائرهم، مركز الأبحاث للثقافة والفنون الإسلامية باستانبول، استانبول،١٩٨٧، ص٣٢.

٢ آصلان آبا، أوقطاي، مرجع سابق، ص٣٦.

واسع للمدارس الإسلامية وذلك في النماذج الأولى في أصفهان الذي بني في القرن الحادي عشر وأردستان الذي بني ١١٦٠م. ودخول الإيوانات في تخطيط المساجد والمدارس دار حوله جدل كبير بين المستشرقين ومن أهمها نظرية (كريزول) القاعة والدرقاعة والربط بين المساكن القاهرية في العصور الوسطى والإيوانين قبل تطوره إلى أربعة إيوانات[١] و(جودار) الذي يرى أنها تطورت من المساكن في خُراسان إلى المدارس ثم المساجد الإيرانية ذات الأواوين الأربعة[٢]، وقد تناولت آراء أخرى عدة مؤثرات تناولتها أدبيات كثيرة عن نشوء المدراس.

ويمكننا القول بأن التغطيات بالقباب والأقبية كانت من مميزات عمارة السلاجقة التي أثرت على العمارة الإسلامية وفي اليمن ذات الاتجاه المحافظ في التغطيات المستوية والزخارف الخشبية ليشكل ذلك تطورًا هاماً، ويعُتبر الجامع الكبير بحيس (شكل١٢) والذي ينُسب للملك المظفر يوسف ت: ٦٩٤هـ من النماذج الأولى للتغطيات بالأقبية وظهور إيوان وقد بدأ بناءه مبارز الدين بن برطاس[٣] بداية حكم السلطان المظفر[٤]، ويحفظ تخطيط هذا الجامع محاولات إدخال نظام الأواوين لعمارة المساجد في اليمن والقباب الموجودة لاحقة نتيجة تهدم بعض الأقبيات، فتم تقسيم المستطيل إلى مربعات

١ الجاسر، لمياء، مدارس حلب التاريخية، تاريخها وعمارتها، ٢٠٠٠، ص٦٦.

٢ الجاسر، لمياء، مرجع سابق ٢٠٠٠، ص٧٢.

٣ مبارز الدين علي بن حسين بن برطاس، كان ضمن الجيش الأيوبي الذي كان بمكة عندما قدم اليها السلطان المنصور عمر الرسولي سنة ٦٣٩ هـ/١٢٤١م فانضم إلى الأخير بعد هروب الجيش الأيوبي من مكة، ويعُد من أبرز أمراء الدولة الرسولية في عهد المنصور وابنه المظفر وكان غالباً ما يتولى تهامة وتوفي بزبيد سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م، الفيفي، مرجع سابق، ص١٥٤.

٤ تاريخ الانتهاء من المسجد حسب النصوص الموجودة بالجامع ٦٨٢هـ أي بعد وفاة مبارز الدين بـ٢٥ عامًا لكن الحداد يشير إلى نص الجندي ببناء المبارز بن برطاس للجامع وعليه قد يكون تاريخ الانتهاء منه في عهد وال آخر للمدينة بعد ذلك. (الحداد، مرجع سابق، ص٣١٤-٣١٥).

حتى يتم تغطيته بقباب وذلك في عهود لاحقة، حيث لم يعُمر هذا النموذج، وقد ربطت (فينستير)[١] بينه وبين جامع خربوط ٥٥١هـ/١١٥٧م (شكل١٣)، وعلى الرغم من وصف قصر حائط لبيق والصحن الذي يكتنفه أربعة أواوين إلا أن هذا النمط لم يستمر في عمارة المساجد والمدارس اليمنية.

وفي المقابل فإن القبة أصبحت جزءًا أساسياً في تغطية قبة المحراب في النماذج المبكرة كجامع سيرت (شكل٥-٣٦) ٥٢٣هـ/١١٢٩م وينسب لمغيث الدين وهو أحد سلاجقة العراق[٢] وجامع الكبير في بتليس (شكل٥-٣٥) والسمة الأساسية لها اختفاء الصحن حيث لعبت الأقبية دوراً في التغطيات وقبته الرئيسية على المحراب والنموذج الآخر لها هو دينيصر الجامع الكبير (شكل١١) ٦٠١هـ/١٢٠٤م، وتم تغطية الأجنحة الجانبية بأقبية وهي استكمال لتطور هذا النمط لدى سلاجقة الأناضول والذي ظهر لدى الزنكيين في الموصل في عمارة المسجد النوري نسبة لنور الدين محمود بن زنكي وتم بناؤه سنة ٥٦٦هـ/١١٧٣م والذي كان يختلف في نمطه عن عمارة المساجد الجامعة في العراق بشكل جوهري[٣] بالمصلى الشتوي المغلق المستطيل والقبة التي تعلو المحراب كانت جذور هذا النمط قادمة مع الزنكيين وهم فرع من السلاجقة، كما يوضح الجامع الكبير بدينيصر عدداً من العناصر كالعقود المفصصة التي ظهرت مبكراً في العمارة الرسولية بنفس النسب.

وذلك يدعو للتساؤل هل أثر ذلك في تخطيط الجامع الكبير المظفري (شكل١١) من حيث القبة المركزية والأجنحة المغطاة بقباب صغيرة والمصلى المغلق المستطيل؟ وإن كان المسجد قد حدث له توسعتان شرقية وغربية إلا أن المؤثرات في تخطيط المسجد

1 Finster,Barbara, Archaologische Berichte Aus Dem Yemen, Previous ref .p143.

٢ آصلان آبا، أوقطاي، مرجع سابق، ص٦٤.

٣ سلمان، عيسى، العمارات الإسلامية في العراق، الجزء الأول، مرجع سابق، ص١٥١ -١٥٢-١٥٣.

الرسولي كانت واضحة خصوصًا مع تجربة الأقبية في جامع حيس والتي لم تنتشر في المساجد باليمن بنفس ظهورها في عمارة السلاجقة والتي تم ربطها سلفاً بتخطيط الخانقاوات الأولى في الأناضول، وكانت التغطية بالقباب هي السائدة لاحقاً والأكثر انتشاراً في عمائر الدولة الرسولية.

القباب كعنصر للتغطية ظهرت بعدة أشكال في العمائر الرسولية إما متساوية أو قبة مركزية مهيمنة وأجنحة مغطاة بقباب صغيرة أو بأقبية جانبية تكتنف القبة الرئيسية وهو ما سنعرض له في الدراسة التحليلية لتصنيف هذه الأنماط .

إلا أن أول ذكر لمسجد رسولي مغطى بقباب كان مسجد الأجناس بالقرب من تعز وكان مغطى بثلاث قباب[١] والذي شيده المنصور عمر بن رسول قبل تأسيس الدولة الرسولية سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م، والتغطية بثلاث قباب لبيت الصلاة طراز منتشر كما سنأتي على ذكره في المساجد والمدارس المنتشرة في تهامة سواء كانت متساوية أو كانت القبة الوسطى أكبر، وقد ربط الباحثون بين هذا المسجد المندثر والمدرسة الظاهرية بحلب[٢] ٦١٠هـ/١٢١٣ ويمكننا تتبع نماذج مدارس حلب في العهد الأيوبي، وكان الأيوبيون أول من أدخلوا المدارس إلى اليمن، والتي تظهر تشابهاً واضحاً بالمدارس الرسولية حيث يتحول الجزء القبلي إلى مصلى مغلق يغطى بقباب متساوية أو قباب وأقبية إضافة إلى الأروقة التي تحيط بالصحن، والنموذج الأمثل للمدارس ذات القبة المركزية والذي ظهر مبكراً في المدرسة الأسدية بإب ويغطي سقفها قبة مركزية كبيرة محمولة على أربعة عقود يكتنفها من الجانبين قبتان وتُنسب إلى الأمير أسد الدين محمد بن عم الملك المظفر وتعود

١ ابن مجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، تصحيح أوسكار أولفرين، منشورات دار المدينة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص٢٣٣.

٢ Sadek. Noha, Patronage and Architecture in Rasulid Yemen, Previous Ref, P 237

إلى فترة مبكرة من عهد الملك المظفر بداية النصف الثاني من القرن الثالث عشر (شكل١٥).

كما يمكن الإشارة إلى جامع مجاهد الدين[١] بالقرب من الموصل والذي تم بناؤه بين ٨٠-١١٧٦م ومغطى بقبة مركزية عالية ويبرز محرابه بشكل كبير إلى الخارج وهي سمة تميز عمارة بني رسول التي تعطى لبروز المحراب تشكيلات تميزها في الواجهة القبلية، والمدرستان الإسكندرية (والكمالية بزبيد تظهران مرحلة النضج في نموذج القبة المركزية الكبيرة في المدارس في القرن الخامس عشر وإن كانت المدرستان تنُسبان لقائدين مملوكيين في النصف الأول للقرن السادس عشر الميلادي فإن نهى صادق[٢] ترجح نسبتها للدولة الرسولية وفقدت النسبة إلى بناتها الأوائل وذلك من خلال الطرز والزخارف الجصية والزخارف الملونة للمدرسة الإسكندرية والتي تماثل نظيراتها في العهد الرسولي وكون النص الذي يذكر القائد اسكندر موز موجود على المئذنة التي أعاد بناؤها فنسبت بعد ذلك المدرسة له هذه المدارس بنيت في الجزء الرسمي للدولة بالقرب من القلعة لذا قد تكون لأفراد من البيت الرسولي.

ويمكننا القول بأن نموذج التغطية بالقباب والذي يحمل تأثير سلاجقة الأناضول والمدارس الأيوبية بحلب هو الطراز الذي شق طريقه في عمارة المدارس والمساجد باليمن، وذلك بعد ظهور التغطيات بالأقبية، وظهور الأواوين التي ربما لم تكن فكرة محبذة من الناحية الوظيفية في الطقس الحار الرطب بتهامة، وأصبح إيوان التدريس الخلفي عبارة عن مجلس مغطى بقباب أو سقف مستو وواجهة من العقود تواجه صحن الجامع كما يُسمى،

١ مجاهد الدين قيماز مدبر دولة بني زنكي في الموصل، سلمان، عيسى، مرجع سابق، ص١٧٢.
2 Sadek. Noha, Previous Ref, P 234

بينما تطورت نماذج المدارس الإيوانية بشكل كبير في مصر مرتبطة بعدد المذاهب وهو الربط الذي لم يشمل مناطق كالشام وتركيا وإيران حيث كانت معظم المدارس تدرس مذهباً وحداً[١] ليتم تطوير نماذج المدارس الإيوانية في إيران بشكل مختلف عن مصر وذلك في العهد التيموري

كما تظهر بعض العناصر المميزة في العمارة الرسولية مثل العقود المفصصة الجبسية والأطباق النجمية والكتابات الجصية التي ظهرت بشكل متكرر في المدارس والمساجد الرسولية منذ فترة مبكرة مثل جامع المظفر (شكل١٦) منتصف القرن ١٢م والمدرسة الأشرفية والمدرسة الإسكندرية بزبيد وعلاقته بنماذج أقدم ومشابهة إلى حد كبير لقبة الشيخ فضل بقيرغستان ١٠٥٥م، والتي تشكل مصدراً لهجرات القبائل التركمانية من براري القيرغيز إلى الأناضول وإيران[٢].

كما كانت اليمن دائماً على علاقة قوية بمصر لدورهما في التجارة والتي تطورت في العهد الصليحي إلى أقوى مستوياتها باعتبار القاهرة مركز الدعوة الفاطمية ودور الفاطميين في التجارة الذي بدأ بسيطرتهم على البحر المتوسط وحاجاتهم لبضائع الشرق وظهرت هذه التأثيرات على العمارة الدينية في العهد الصليحي سواء في العمارة والفنون الزخرفية والكتابية التي تزين ضريح السيدة بنت أحمد.

ومع قدوم الأيوبيين إلى اليمن نجد بعض المؤثرات الأيوبية التي نقلوها عن الفاطميين في مصر ومع مكوث الرسوليين لبعض الوقت في مصر فإننا نجد ملامح من العمارة الفاطمية الباقية منها تشابه بين العقود الصماء للمدرسة الفرحانية بزبيد ومثيلاتها في

1 Hillenbrand, Robert, Previous Ref. P188

٢ وزيري، يحيى، مرجع سابق، ص ٧٢.

الجامع الأقمر وإن كانت منتشرة في العمارة التقليدية بزبيد كمشاكي داخلية كما أشارت (فينستير) إلى أن المدرسة الأسدية بإب تتشابه مع جامع الصالح طلائع بالقاهرة ١١٦٠م باستغلال دكاكين صغيرة كوقف ترتفق عليه المدرسة[١].

ويشير الدكتور عبد الله الحداد إلى أن التغطيات بالقباب قد تحمل تأثيراً من عمارة الوزير الفاطمي بدرالدين الجمالي ١٠٩٤-١١٢١م مثل المشهد بأسوان ومسجد خضرة الشريفة ١١٠٧م ومسجد السيدة رقية بالقاهرة ١١٣٣م ويرى هذا التشابه في تغطية قاعة الصلاة[٢].

ويمكننا القول بأنّ تطور العمارة الأيوبية بمصر باتجاه الأواوين والمملوكية بعد ذلك بشكل كبير جعل نماذج المدارس الأيوبية الحلبية هو الأقرب، مع التأثير المتبادل بين مصر واليمن في مجال الفنون.

سادساً: التاثيرات الهندية على العمارة اليمنية:

كان للتجارة بين اليمن والهند دور كبير على صعيد الفنون والعمران فقد قدم لنا ابن بطوطة الذي زار اليمن وصفاً للبلاط الرسولي حينما زار مدينة تعز ماراً بزبيد وذلك في عهد السلطان المجاهد بن المؤيد داود ومدى تقاربه مع بلاط ملوك الهند في ترتيبه ومقعده وطعامه ويذكر: "فلا أعلم أن سلاطين الهند أخذوا ذلك عن سلاطين اليمن أم سلاطين اليمن أخذوا عن سلاطين الهند" وقدم وصفاً لمجلس الملك المجاهد أنه كان يجلس فوق دكة

1 Finster, Barbara, The Art of the Rasulids, Previous ref .p255

٢ الحداد، عبد الله، حيس اليمنية، مرجع سابق، ص٢٣٣.

مفروشة مزينة بثياب الحرير"[١]، كما أشار إلى حجم تجارة اليمن مع الهند ومراكبها في عدن وظفار، ويقدم الخزرجي وصفاً للخيمة الملكية التي صنعت من الحرير المطرز وازدانت بالصور والرسوم بخيوط الذهب وسجاجيد الزركش التي كانت بدار المرتبة بتعز[٢].

فكانت اليمن ممراً مهما للحجاج إلى الأماكن المقدسة من عدن إلى جدة براً عبر تهامة مروراً بمدينة زبيد التي تخرج منها الكثير من علماء الهند الذين تذكر المصادر أنهم تلقوا العلم باليمن ونقلوا مصنفاتهم لدى عودتهم[٣] واستوطنت الكثير من الجاليات من شبه القارة الهندية في زبيد.

وبمرور الوقت اشتهروا بحرف تقليدية مهمة كالنجارة وبالمقابل فإن الحضارمة السادة على المذهب السني كانوا عنصراً مؤثراً من الناحية الطبقية في الهند بالإضافة إلى دور الحضارم الكبير في التجارة والهجرة مع توثيق علاقتهم بأصولهم الحضرمية وكان الحضارم يستقرون على الساحل الشرقي للهند في الكجرات والدكن وأقام بعضهم في دلهي في قصر أعدته لهم الحاجة (بيجيوم) إحدى زوجات الإمبراطور المغولي همايون ١٥٦٠م وذلك عندما دعت ثلاثمائة من السادة الحضارم لمرافقتها إلى الهند كضيوف على الأسرة الحاكمة لقراءة القرآن على قبر زوجها الإمبراطور وسمي القصر الذي أعد لهم (كي سراي عرب) أو (قصر العرب)[٤] وتوثيق دور السادة الحضارم في الحياة الاجتماعية الهندية عائد لمكانة السادة من اليمنيين الحضارم علمياً فقد كانوا قابضين على النظام الاجتماعي الإسلامي

---

١ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الخيرية، الطبعة الأولى، ١٣٢٢هـ- ١٩٠٤م، ص١٨٨ – ١٨٧.

٢ خليفة، ربيع، مساجد مدينة صنعاء في فترة الوجود العثماني الأول، القاهرة ١٠٨٧م، ص ١٦٤

٣ حماد، أسامة، مرجع سابق، ص ٥٥٩.

٤ خالدي، عمر، سادة حضرموت في هند العصور الوسطى والحديثة، المسار، مركز التراث والبحوث اليمني، VA22102 USA المجلد الثالث، العدد الثاني، صيف ٢٠٠٢، ص٦٢.

وموجودين بشكل بارز كعلماء ومفتين وسمح لهم انتسابهم لبيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم باحتلال مكانة مهمة في التراتب الطبقي للمجتمع الهندي[١]. وكانت الصوفية ولمدارسها المشهورة في وادي حضرموت حضور كبير في الهند حيث تنتسب طرق صوفية كالعيدروسية إلى أسرة العيدروس من تريم وغيرها من أسماء الشيوخ والقادة البارزين ومقاماتهم في أحمد باد وسورات ويمكن تتبع تراجمهم وأسماؤهم العربية وصلاتهم القوية مع اليمن حيث كانوا يجدون مركزاً مهما لهم لدى الطبقة الحاكمة عند وصولهم إلى الهند مما سهل كثيرًا من هجرتهم.

إن المؤثرات الهندية أخذت بالظهور تدريجياً في العمارة اليمنية في عصرها الإسلامي بالتوازي مع نمو هذه الممالك وتطورها في الهند في العصور الوسطى، وكانت هذه المؤثرات تنتقل مع الصناع والتحف وحتى المهاجرين ويمكن تتبع ذلك في عمارة تهامة بشكل كبير، فمدينة زبيد وهي مدينة ذات عمارة مميزة خاصة بها أخذت بالتأثر بطرز العمارة الهندية وبدأ القوس المفصص الذي ظهر في عمارة بني رسول يتخذ نسباً من الأقواس الهندية في عمارة المغول والتي تحتوي على عدد من الأقواس الأصغر متعددة الأشكال كما نجد ذلك في القلعة الحمراء بدلهي، وفي النهاية المدببة للأقواس والتي ظهرت على التشكيلات الزخرفية بالآجر على المساكن والمشاكي الداخلية ويربط (بونانفان) بين هذه المشاكي الحائطية وتأثيرات هندية مغولية وحتى هندوسية وذلك بالصرامة التي تتبعها المعتقدات

١ خالدي، عمر، مرجع سابق، ص٦٥ -٦٦.

الهندوسية في زخرفة الفراغات الداخلية من ناحية الاتزان وعلاقة ذلك بتأثيره على حياة الساكنين[١] (شكل١٧).

وعنصر المشكاة نفسه ظهر منذ الدولة العباسية في سامراء وفي باب العامة ببغداد[٢]، ومدينة زبيد كانت على علاقة قوية مع العباسيين منذ أن أسسها ابن زياد ولكن التأثير اللاحق على الزخارف كان قادماً من العمارة المغولية في الهند مع تعاظم العلاقات معها[٣].

زبيد كمدينة مهمة في العصر الوسيط كان مقراً لتأثيرات كثيرة وبانتقال التجارة إلى داخل البحر الأحمر مع تهديد البرتغاليين اكتسبت دوراً مهماً لقربها من البحر ويذكر (بونانفان) أن عدد السكان من أصل هندي يبلغ ثلث عدد سكان المدينة التاريخية، وذكر المهن التي عملوا بها من أسفل السلم الطبقي وحتى المتميزون منهم كالتجار والأسر الثرية بحسب أصولها[٤]. وقد أصبح هؤلاء يمنيين ولكن ذلك مؤشر على حجم التأثير الهندي على الفنون اليمنية.

كما ظهرت التأثيرات الهندية على عمارة حضرموت فعندما يرى الوافد إلى تريم مسجد حضرموت يرى من الوهلة الأولى بأن ثمة نمطاً معمارياً وافداً على عمارة حضرموت وتأثيراً كبيراً يتجلى في مئذنة مسجد المحضار (شكل١٨)، ولعل ذلك نتيجة الهجرات المستمرة للحضارمة إلى الهند وجنوب شرق آسيا، ومن الواضح أن التأثيرات لم تقتصر

١ بونانفان، بول، أثر الهند في زبيد، حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ٢٠٠٣،ص٦٣-٦٥.

٢ بونانفان، بول، أثر الهند في زبيد، حوليات يمنية، مرجع سابق، ص ٦١

٣ معين المرجع السابق ص ١٦٦.

٤ بونانفان، بول، أثر الهند في زبيد، حوليات يمنية، مرجع سابق، ص٧٦-٧٧.

على العمارة الدينية فحسب، بل شملت شتى أنواع العمارة ومنها ما رأيناه في أغلب قصور أسرة آل الكاف في تريم وسيؤون (شكل١٩) وما تمثله من طفرة في العمارة الحضرمية[١]، ويمكن ملاحظة أثر الهنود في الفنون اليمنية في النجارة التي ظهرت في الأعمال الخشبية بحضرموت وفي زبيد، ومن المفيد الإشارة إلى أن هناك الكثير من المصطلحات الوافدة إلى اليمن في مجال النجارة هندية[٢] وقد وصل تأثيرها إلى الأعمال الخشبية بصنعاء حيث كان عدد من النجارين في القرن الثامن عشر الميلادي من البنغال والبانيان[٣].

والحديث عن عمارة الممالك الإسلامية في الهند نجدها تحمل مؤثرات كثيرة منها ما هو قادم من الشمال من أفغانستان وفارس مع الحكام الغزنويين، ثم المماليك ومن بعدهم أباطرة المغول، إضافة لامتزاجها بالمؤثرات الهندية المحلية. وبالنظر إلى النماذج المعمارية الهندية التي تتقارب مع عمائر الرسوليين في اليمن تبرز عمارة الباهمانيين في السواحل الشرقية للهند والتي تمثل عمارة المساجد فيها نمطاً فريداً ومبكراً في استعمال القباب بشكل كبير في تغطية المساجد وكانت جلبرجا أسبق من الأقاليم الشمالية في تبني التغطيات بالقباب الصغيرة في بداية النصف الثاني للقرن ١٤م والتي بدأت بجامع شاه بازار المغطى بقباب متعددة متساوية الحجم وتبعه المسجد الجامع بجلبرجا (شكل٢٠) ١٣٦٧م[٤]، واللافت للذكر أن هذه النماذج كانت متأخرة عن عمارة القباب الرسولية

١ العيدروس، حسين أبوبكر، مسجد المحضار بتريم حضرموت القرن ٩/١٥م، مركز عبادي للنشر ٢٠٠٧م ص ٨٥- ٨٧

٢ مثل كلمة فيّآر (الإطار الخشبي للباب) ودوراسار وعدد من المقاطع والمصطلحات، للمزيد راجع . (بونانفان، بول، مرجع سابق، ص٦٨).

٣ بونانفان، بول، أثر الهند في زبيد، حوليات يمنية، مرجع سابق، ص٧١-٧٢.

4 Merklinger Elizabeth. S ,Indian Islamic architecture : the Deccan 1347-1686 / Aris & Phillips, Waarminster, England : 1981. P 71 -74.

بقرن، فهل كان هناك تأثر بهذا النمط في تهامة خصوصاً أن عمارة الباهمانيين متقاربة من حيث الشكل والمواد والتقنيات بشكل كبير مع العمارة الرسولية وتتميز عن عمارة الشمال بأحجارها الحمراء في دلهي وطراز الفناء والأواوين الفارسي النسب بمساجدها الجامعة.

المسقط الأفقي للمسجد الجامع بجلبرجا والمغطى بالكامل بـ٦٣ قبة مع عدم وجود صحن هو طراز جديد ومبكر على العمارة في شبه القارة الهندية (شكل٢١) وإذا حاولنا ربط ذلك بالعمارة الرسولية فليس هناك جامع بهذا الحجم سوى الجامع الكبير بالمهجم (المظفري) والذي مازالت مئذنته باقية حتى الآن، والمدينة نفسها تعرضت لكوارث كثيرة ويبدو أن موقعها المتقدم في شمال تهامة جعلها عرضة لهجمات القوى الزيدية القادمة من شمال تهامة، والجامع الذي زاره (مانزوني) وكان أطلالاً يصفه المؤرخ ابن الحسين حسب الروايات بأن له ٣٦٠ عمودًا وأنه كتب القرآن كاملًا على حوائطه وكان مغطى بالقباب[١] وهو ما جعل الباحثين يذكرون بأن هذا الحجم سيكون أصغر بقليل من جامع سامراء[٢]، وقد قامت البعثة الإيطالية بعمل حفريات في الموقع للوصول إلى الأساسات المدفونة، وربما يتيح التنقيب عن شكل الجامع من الناحية التخطيطية وهل كان ذو صحن كالجامع الكبير بزبيد أو الجند أو أنه كان بالفعل مغطى بالقباب وسيكون ذلك تطوراً مهماً في نماذج التغطيات لمساجد اليمن وفي فترة مبكرة (شكل٢٢).

ويمكن ملاحظة انتشار نمط المساجد والمدارس المغطاة بالقباب على طول الساحل في مدن وقرى تهامة حيث يزداد عدد القباب وصفوفها بكبر المسجد وحسب أهمية القرية

١ ابن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، مرجع سابق، ص ٤٧٥.

2 Scerrato, Umberto, and Others, Italian Archaeological mission in the Yemen Arab Republic, Preliminary Reports of the Campaigns on Islamic Antiquities Years 1984,1985,1986 ,Materials for a Typology of the Yemeni Mosques, ISMEO, Rome. P 449.

والمدينة، وعليه يمكن تخيل شـــكل الجوامع الكبرى كالجامع المظفري بالمهجم الذي كان عبارة عن جامع يتكون من صـحن مكشـوف تحيط به أربعة أروقة أعمقها وأكبرها رواق القبلة والذي ذكر أن أعمدة الجامع يصل عددها إلى ٣٦٠ عموداً وأن القرآن كان منقوشاً على جدرانه كاملاً.

وفي فترة حكم المغول كان نمط المسـاجد التي تغطي قاعة الصـلاة فيها ثلاثة قباب منتشـرة في العمارة الإسـلامية في الهند، وهناك أمثلة كثيرة لتلك المسـاجد ويمكن ملاحظة التشابه مع المساجد ذات الأحجام الأصغر والتي تتشابه مع مثيلاتها في تهامة حيث كان هذا النمط منتشراً وطاغياً على عمارة المساجد الصغيرة، وفي الهند كانت المساجد الكبرى تبنى بنفس الكيفية مع مؤثرات محلية طاغية وبمقاييس أكبر هذه ويمكن مقارنة هذه الأنماط من خلال مسجد (المغولي) أوائل القرن ١٧م.

سابعاً: التأثير المعماري المتبادل مع الساحل الشرقي لإفريقيا:

يمكن تتبع نمط العمران الـديني في (كيلوا Kilwa) في تنزانيـا وهي ميناء مهم في العصـر الوسـيط، وقد ذكرت المصـادر البضـائع التي كانت تجلب منها إلى عدن والهند، وبالنظر إلى مسـجد كيلوا الكبير أو المسـجد ذي التسـع قباب سـنجد تشـابهاً كبيراً مع عمارة تهامة، أما الجامع الكبير والذي تعود الأجزاء القديمة منه إلى القرن ١٣م[1] فتظهر التغطية بالقباب المحمولة على حنايا ركنية وتغطيات بالأقبية وهو ما يوجد بجامع جلبرجا بالســـاحل الغربي للهند والجامع الكبير بحيس مما يظهر التأثير المتبادل والقوي بين هذه

1 Garlake, Peter. Early Art and Architecture of Africa. Oxford: Oxford University Press ,2002 .P 178-179.

الممالك وذلك قبل قدوم البرتغاليين وتدمير العلاقات التجارية وخطوط الملاحة في المحيط الهندية[١].

ثامناً: التأثيرات العثمانية على العمارة اليمنية:

– أولاً: أثر العمارة العثمانية على العمارة الدينية في مدينة صنعاء (المساجد):

بما أن مساجد مدينة صنعاء في فترة التواجد العثماني قد استأثرت بالنصيب الأكبر من أثر العمارة العثمانية، فقد تأثرت عمارة المساجد في صنعاء في فترة الوجود العثماني الأول بطرازين معماريين من طرز العمارة العثمانية وهما طراز بورصة والطراز الكلاسيكي.

١- **الطراز الأول:** (طراز بورصة)، ويعرف باسم طراز بورصة الأول، وكان المسجد عبارة عن مربع تغطيه قبة رئيسية كبيرة[٢]، وقد يكتنف المربع غرفتان أو أكثر من كل جانب، مغطاة جميعها بقباب تصغر على القبة الرئيسية، وقد يتقدم المسجد سقيفة تغطى بقباب صغيرة أو أقباء، أما المئذنة فهي أسطوانية الشكل ذات شرفة واحدة، وتنتهي إما بشكل مخروطي أو بشكل الخوذة، وقاعدتها تبرز عن تخطيط الجامع[٣]، وقد انتقل هذا الطراز من موطنه في مدينة بورصة إلى العاصمة استانبول، حيث استمر العثمانيون في التشييد على نمطه، ومثال ذلك مسجد فيروز آغا في إسطنبول (١٤٩٠م)[٤]، وقد وجد هذا الطراز في مساجد صنعاء في تخطيط مسجد البكيرية، الذي شيده الوزير حسن باشا

1 Garlake, Peter. Early Art and Architecture of Africa. Oxford: Oxford 2002 .P 178-179University Press, عن معين عبد الملك، المرجع السابق، ص ١٧٣.

٢ آصلان آبا، أوقطاي، مرجع سابق: ١٦٧.

٣ تمور، هدايت علي، جامع الملكية صفية سالم دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٧٧م، ص٤٧.

٤ أقطاي، المرجع السابق، ص ١٧١ . ١٨١، خليفة، المرجع السابق ص١٢.

(١٥٨٠- ١٦٠٤م) سنة (١٠٠/ ١٥٩٦م)[١] ومسجد المرادية، الذي أمر ببنائه الوزير مراد باشا (٩٨٤- ٩٨٨هـ) (١٥٧٦-١٥٨٠م)[٢] ومسجد طلحة، الذي أمر ببنائه الوزير محمد باشا (١٠٢٥ – ١٠٢٩هـ/١٦١٦- ١٧٢١)[٣] ومسجد أزدمر باشا، الذي أمر بتشييده الأمير أزدمر باشا (أزدمير) (٩٥٦- ٩٦٢هـ / ١٥٤٩- ١٥٥٥م)[٤] ومسجد محمد باشا، الذي أمر بتشييده الوزير محمد باشا (١٠٢٥- ١٠٢٩ هـ/ ١٦١٦-١٧٢١)[٥].

إلا أن هناك بعض الاختلافات بين المساجد في استانبول، ومساجد صنعاء التي شيدت وفق هذا الطراز في إضافة الجزء المكشوف الذي يعرف باسم (الحرم)[٦].

٢ ـ **الطراز الثاني**: (الطراز الكلاسيكي)، ويعرف باسم (الطراز الكلاسيكي) وتتميز مساجد هذا الطراز بأنها تتكون من قسمين أساسيين، الأول: مكشوف ويسمى الحرم (الفناء) ،والثاني مغطى بقبة مركزية كبيرة يحيط بها قباب صغيره تعرف ببيت الصلاة، أما الحرم (الفناء) فهو عبارة عن صحن مكشوف يحيط به من جهاته الأربع رواق غطي

١ ابن لطف الله، عيسى، روح الروح فيما جرى بعد الألف من الفتوح، مخطوط مصور ج ٢ : ٣٨، الموزعي، القاضي شمس الدين عبد الصمد بن إسماعيل، الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان تحقيق عبد الله الحبشي، بيروت، ١٩٨٦م ص ٦١، الحجري، المرجع السابق ص ١٧، خليفة، مساجد: ٥١- ٥٥.

٢ الموزعي، المرجع السابق، ص ٦٠، الحجري، المرجع السابق ص ١١٣ – ١١٤، ابن لطف الله، مخطوط مصور ج ٢ : ٣٣)

٣ الموزعي المرجع السابق، ص ١٤٠، ابن لطف الله، مخطوط :١٠٢، الحجري، المرجع السابق ص 66، خليفة، ص ٩٢،٩٣

٤ الموزعي، المرجع السابق، ص ١٤، ابن لطف الله، مخطوط، ج٢ : ٣٨، الحجري، المرجع السابق، ص ١٤، خليفة، مساجد ص ٣٥، الحجري، ١٣٩٨هـ، ص ١٤.

٥ الحجري، المرجع السابق: ٥٠، خليفة، مساجد، ص ١٠٥.

٦ خليفة، مساجد: ١٣. آصلان آبا، اوقطاي، مرجع سابق: ٢٠١- ٢٠٢ .

بقباب كروية صغيرة منخفضة، ويفتح على الصحن ببائكة معقودة، وقد مثل هذا الطراز في تركيا جامع السليمية في أدرنة (١٥٦٩-١٥٧٥م)[١].

ويتضح أثر هذا الطراز في مساجد صنعاء في تخطيط مسجد جناح، مع وجود بعض الفوارق في تخطيط بيت الصلاة، إذ أنها اشتملت في مساجد تركيا على قبة كبيرة تمهد لها قباب صغيرة حولها، أما في مساجد صنعاء وبالتحديد مسجد جناح فقد قام المعمار بتقسيم مساحة بيت الصلاة إلى قاعتين مربعتين تغطي كل منها قبة كبيرة، ولا يعني تقسيم طراز المسجد في صنعاء التأثر بالأساليب والطراز العثمانية إلى طرازين، بل إن كل طراز قد استخدم بشكل مستقل، فلا يخلو كل منها من تأثيرات متبادلة وبصفة خاصة العناصر المعمارية والزخرفية وعنصر المئذنة الذي صار على النهج والتقاليد اليمنية[٢]، ومن هذه التأثيرات مكونات المسجد في الطراز العثماني الوافد على صنعاء.

المؤثرات المعمارية على مساجد صنعاء في طراز الأول (طراز بورصة):

أولاً: المدخل:

من أثر مساجد هذا الطراز بصفة عامة نجد أن مداخلها بارزة، وتتكون عادة من كتلة مربعة يعلوها قبة قد تكون مقامة على مثلثات كروية في الغالب، أو على حطات من المقرنصات في النادر وعادة ما يكون المدخل على مستوى أرضية الشارع أو مرتفعة يصعد إليها بواسطة درجتين أو ثلاث.

١ آصلان آبا، أوقطاي، مرجع سابق: ٢٠١ ـ ٢٠٢

٢ خليفة، مساجد :١٣.

وقد مثل هذا النوع كلاً من مسجد أزدمر ومدخل المسجد البكيرية[١] ومدخل مسجد طلحة (شكل٢٣) إضافة إلى ذلك فقد وجد هذا النوع من المداخل في المنشآت التي تعود إلى فترة الاستقلال عن الدولة العثمانية حيث نشاهده في مدخل مسجد قبة المهدي عباس ١١٦٤هـ ومسجد الرضوان[٢].

ثانياً: الفناء (الصرح):

تميزت مساجد هذا الطراز باشتمالها على أفنية عادة ما كانت تفرش أرضياتها بأحجار البازلت الإسفنجي (الحبش)، وقد اختلف عدد ومواقع ومساحات هذه الأفنية من مسجد إلى آخر، فبينما نجد أن أفنية كل من مسجد أزدمر والبكيرية والمرادية وجناح تقع في الجهة الجنوبية من بيت الصلاة، وأن فناء مسجد طلحة الرئيسي يقع في الجهة الغربية من بيت الصلاة، فضلاً عن وجود فناء آخر يقع في الجهة الجنوبية من المسجد، وأما فناء مسجد محمد باشا فيوجد في الجهة الشمالية من بيت الصلاة كما نلاحظ اختلافاً في مساحات هذه الأفنية من مسجد إلى آخر، ويرتبط كبر مساحة الفناء بعظم المنشأة واتساعها، كما تتميز مساجد مدينة صنعاء بوجود الفناءات التي أحياناً تحيط ببيت الصلاة من جميع الجهات كما هوا الحال في مسجد قبة المهدي عباس ومسجد التقوى.

وتلتف حول هذه الأفنية ملحقات المسجد وأهمها المطاهير والحمامات، ويمكن الوصول إلى هذه الملحقات إما عن طريق ممرات مقببة مثلما كان موجوداً في مسجد البكيرية ومسجد طلحة ومسجد أزدمر قبل التجديدات التي طرأت عليه، أو عن طريق

١ شيحة ١٩٨٧م : ١٠٢.

٢ سيف، ٢٠٠٦.

باب، وقد يتوسط بعض الأفنية نافورة مثلما كان في وسط فناء البكيرية والتي أزيلت، وفي بعض المساجد يلتف حول الفناء ظلة (رواق) مغطى بقباب صغيرة ضحلة، ومن أمثلة ذلك مسجد جناح.

ثالثاً: الظلة (السقيفة) التي تتقدم بيت الصلاة:

توجد هذه الظلة (السقيفة) في معظم المساجد التي تنتمي في تخطيطها إلى طراز بورصة الأول، وعادة ما تتقدم هذه السقيفة بيت الصلاة، وتتكون هذه الظلة (السقيفة) في مسجد أزدمر من بائكة مكونة من أربعة أعمدة أسطوانية الشكل وكانت مغطاة بقباب صغيرة ضحلة، أزيلت هذه القباب، أما الظلة (السقيفة) التي تتقدم بيت الصلاة في البكيرية فتتكون من ثلاثة عقود ترتكز على عمودين وكتفين، ويغطي هذه السقفية ثلاث قباب نصف كروية أقيمت على مثلثات كروية زينت بواطنها بالزخارف النباتية والهندسية والكتابية (شكل٢٤).

وتطل (سقيفة) مسجد طلحة على الفناء الغربي من خلال بائكة ذات عقدين نصف دائريين يرتكزان على عمود وسطي وكتفين غطيت بأربع قباب صغيرة، أما سقيفة مسجد العرضي فهي عبارة عن بائكة مكونة من خمسة أعمدة وكتفين اتخذا شكل حرف L.

رابعاً: بيت الصلاة:

تميزت بيوت الصلاة في مساجد الطراز الأول باتخاذها شكل القاعة المربعة تعلوها قبة كبيرة يختلف قطاعها من مسجد إلى آخر، ومقامة على حنايا ركنية في الغالب.

وفيما يتعلق بأول المساجد العثمانية التي شيدت في مدينة صنعاء ونعني به مسجد أزدمر باشا فإننا نلاحظ أن المسجد يتكون حالياً من بنية مربعة تقريباً مقسمة إلى أربعة

أساكيب بواسطة ثلاث صفوف من البائكات تحمل عقوداً تسير موازية لجدار القبلة وتحمل هذه البائكات سقفاً مسطحاً مكوناً من عوارض خشبية.

أما تخطيط المسجد القديم والذي يرجع لفترة أزدمر فقد كان بيت الصلاة فيه مغطى بقبة تقع إلى الغرب منها قبة أخرى ربما كانت تعلو المدفن أو التكية[١].

وفيما يتعلق ببيت الصلاة في القبة المرادية فقد غطيت بقبة كبيرة ذات قطاع مدبب، أما بيت الصلاة في قبة البكيرية وطلحة ومحمد الباشا فتتكون من مساحة مربعة مغطاة بقبة كبيرة ذات قطاع نصف دائري مقامة على حنايا ركنية[٢].

وأما بيوت الصلاة في الطراز الثاني فقد مثله مسجد جناح (شكل٢٥) الذي يتكون من حجرتين مربعتين غطيت كل منها بقبة ذات قطاع مدبب مقامة على حنايا ركنية أما بقية المساجد فقد اتخذت المساحات المستطيلة أو المربعة والمقسمة من الداخل إلى أساكيب يقطعها صفوف من البوائك التي تحمل عقوداً تسير موازية لجدار القبلة كما هو الحال في مسجد الطواشي ومسجد مذهب. ومسجد العرضي.

خامساً: المحراب:

لقد تميزت محاريب مساجد مدينة صنعاء التي بنيت في فترة الوجود العثماني بأنها ذات تأثيرات عثمانية وذلك من خلال التكوين المعماري للمحراب المكون من الحنية التي يكتنفها عمودان مندمجان بأصول معمارية عثمانية وتغطية الحنية

١ الحجري المرجع السابق، ص ١٤، الحبشي، عبد الله محمد، مجموع المقامات اليمنية، والمقامة باسم الطراز المذهب في تنحيس مسجد مذهب للعلامة علي بن صالح، بن أبي الرجال ت ١١٣٥ هـ، مكتبة الجيل الجديد صنعاء ١٩٨٧م: ١٠٣.

٢ شيحه، المرجع السابق ص ١٠٢.

بطاقية تشبه مداخل العمائر السلجوقية ومحاريب المساجد العثمانية، والتي اتخذت هيئة نصف قبة توجت بعقد مفصص وشغل باطنها بحطات من المقرنصات ذات الدلايات، وقد مثل هذا النوع في كل من مسجد البكيرية (شكل٢٦) ومحراب القبة المرادية.

سادساً: المنبر:

يعد المنبر من أهم التأثيرات المعمارية المميزة للعمارة العثمانية بمساجد صنعاء فلقد وجد المنبر ذو التأثيرات المعمارية العثمانية في مسجدي البكيرية والعرضي، وقد تميز المنبر بأنه عمل من الرخام ولم نجد قبل ذلك وبعده في صنعاء منبراً رخامياً عدا هذين المنبرين، كما أن هذين المنبرين قد جلبا من إسطنبول، إضافة إلى ذلك فإنهما يتميزان بأن زخرفتهما ذات الطابع العثماني والمكون من أوراق وأزهار مثل زهرة شقائق النعمان وزهرة القرنفل وأشكال البخاريات والنجوم بطريقة اللاكيه (شكل٢٧)، ويتكون كل منبر من: باب المقدم ـــ الريشة ـــ باب الروضة الجوسق، ويتشابه هذا المنبر تماماً مع منابر مساجد مدينة استانبول المصنوعة من الرخام سواء من حيث التكوين أو الزخرفة، بل إنه يكاد يكون صورة طبق الأصل من هذه المنابر.

سابعاً: دكة المبلّغ:

تستعمل هذه الدكة لجلوس المبلغين الذين يقومون بترديد بعض جمل الإمام أثناء الصلاة لتوصيلها إلى الصفوف الخلفية، وتتشابه دكة مبلغ مسجد البكيرية مع غيرها من دكك المبلغين في العصر العثماني، وتقع في منتصف الجدار الجنوبي على محور المحراب وهي

ملاصقة للجدار تماماً، وترتكز على ثلاثة أعمدة رخامية ذات تيجان كأسية الشكل مزينة بزخارف نباتية تحمل عقوداً نصف دائرية.

ثامناً: الزخارف:

تمثلت أهم الزخارف ذات التأثيرات العثمانية في بيت الصلاة في قبة البكيرية وقد شملت زخارف العقود المصمتة التي تتوج النوافذ من الداخل، ومعظم عناصر هذه الزخارف الباروك والركوكو[١] العثماني والتي شملت أجزاء مختلفة من بيت الصلاة، وتنوعت ما بين الأشكال المعمارية والنباتية، وتمثلت الزخارف المعمارية في زخرفة واجهات الحنايا الركنية باللون الأزرق والأبيض بالتبادل بحيث تظهر للعين وكأنها عقود حجرية (تشبه النظام المشهر)[٢].

أما الزخارف النباتية فتمثلت في حليات زخرفية على شكل باقة الزهور الكأسية باللون الأحمر على جانبيها زهرتان باللون الأزرق، وتنتهي هذه الحلية من الجانبين بتفريعات نباتية باللون الأحمر، ولعل أدق هذه الزخارف وأجملها تلك التي تزين قطب القبة وقد اتخذت ما يشبه شكل النجمة الثمانية التي زينت أضلاعها بالزخارف النباتية ويتوسط كل منها زهرة باللون الأبيض على أرضية زرقاء اللون، وبوسط النجمة دائرة بداخلها وردة كبيرة رسمت بأسلوب محاكٍ للطبيعة من ناحية الشكل واللون.

١ الباروك والركوكو فن عثماني استخدم في المساجد العثمانية وهو على شكل مزهريات تخرج منها الزهور والورود عن هذه الزخرفة، انظر محمد عبد العظيم مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٨٧م ص ٥٥ – ٥٩.

٢ المشهر هو عبارة عن بناء من الحجر مكون من لونين أبيض وأحمر.

إلى جانب زخارف حنية المحراب والأبواب والنوافذ، وكذلك الأشـــرطة الكتابية التي نفذت بخط الثلث الجلي، إذ من المعروف أن الأتراك العثمانيين قد اســتخدموا هذا النوع من الخط بكثرة في منشـآتهم الدينية على الجدران والمحاريب وبذلك حققوا كلمة جلي التي تطلق على ما يكتب بالحرف العريض الكبير في أغلب الكتابات (شكل٢٨).

هــذا وإذا كانــت المســاجد الســابقة تكــاد تتفــق مــع بعضــها الــبعض في التخطـيط العـام والمميـزات الرئيسـية إلا أنهـا تختلـف عـن بعضـها مـن حيـث التفاصـيل والنسـب والأبعـاد وبعـض العناصـر المعماريـة والزخرفيـة، فلكـل منشـأة منهـا شخصـية مستقلة قائمة بذاتها.

– ثانياً: أثر العمارة العثمانية على العمارة السكنية في مدينة صنعاء:

يتمثل أثر العمارة العثمانية على العمارة السكنية في مدينة صنعاء باستحداث حي جديد (حي بئر العزب) من قبل العثمانيين والذي جاء نتيجة لعدة لعوامل ســياســية وثقافية واجتماعية إضـافة إلى الكثافة البنائية داخل سـور المدينة القديمة، مما جعل إنشـاء حي جديد محكم السيطرة، وفتح على السور الجديد أبواب هي باب الشقاديف في الجهة الشـمالية وباب خزيمة في الجهة الجنوبية، وباب السـبحة على السـور القديم وباب شـرارة المؤدي إلى داخـل الحي الجـديـد، وباب الروم شمـالاً وباب البلقـة جنوباً وباب عبيلـة في الغرب (شكل٢٩).

كما أن من أهم مميزات المباني السـكنية لهذا الحي كبر مسـاحتها البنائية فهي أشـبه بالقصـور، وذات مسـاقط منتظمة إما مربعة أو مسـتطيلة، إلى جانب فضـاءاتها الواسـعة وتتوسـط هذه القصـور مسـاحة من الأرض ويحيطها الحدائق، ولكل منزل بئر، وقد تميزت

بوجود المفرج الأرضي والذي يفتح في جميع واجهاته النوافذ الكبيرة والمطل على الحديقة التي تتوسطها البركة المزينة بالشاذروان (شكل٣٠) ويتقدم المفرج سقيفة أقيمت على أعمدة وعقود حجرية وتفتح واجهته الرئيسية على ساحة مرصوفة بالحجر.

ويتكون المنزل في هذا الحي الجديد من خمسة إلى ستة طوابق يأتي (المفرج) وهو غرفة تكون عادة في الطابق الأعلى وفي العصر العثماني استحدثت خارج المنزل في الأرض منفصل عن المنزل وقد جاء كتأثير خارجي عثماني.

ويمكن تقسيم عناصر مكونات المنزل إلى عناصر حِركية وتتكون من الحوي (فناء المدخل) والمدخل وصالة التوزيع (الدهليز) وهي صالة توزيع الحركة في الطوابق (الحجرة) السلم (بيت الدرجِ) وعناصر خدمية تتكون من، إسطبل الماشية (الحر) المخزن الطبقة المطبخ (الديمة) الكُمَةُ: وهي غرفة صغيرة تستخدم لحفظ الملابس، العجمي: غرفة شمالية تستخدم كمخزن وأحياناً تستخدم غرفة نوم، الحمام: (المطهار) والمرحاض المستراح، بئر المرحاض: (المنطل) ووظيفته تصريف العوادم، بئر الماء: (المنزعة) وتقع في الطابق الأرضي.

وعناصر المعيشة تتكون من، الديوان، وهو غرفة كبيرة للضيافة تتجه فتحاته جنوباً والمفرج، والمنظر، غرفة أصغر من المفرج، الزهرة، غرفة صغيرة جداً في أعلى المبنى مكان الوسط، حجرة وسطية تستخدم للمعيشة، وعناصر الراحة والنوم تتكون من، غرفة النوم (المكان) وهي أكثر عدداً من بقية العناصر الأخرى، السمسرة الصغيرة، وكانت تستخدم لخزن الغلال، المفرج الأرضي، البركة أو النافورة (الشاذروان) (شكل٣٠).

– ثالثاً: أثر العمارة العثمانية على العمارة العسكرية في مدينة صنعاء:

تأثرت العمارة العسكرية بمدينة صنعاء في فترة التواجد العثماني بالتأثيرات العثمانية وذلك بأن قام العثمانيون بإنشاء العديد من المنشآت العسكرية بمدينة صنعاء، ومن هذه المنشآت العرضي، والذي يعد من أهم المنشآت العسكرية التي شيدت في اليمن في فترة الحكم العثماني لليمن، وقد أمر ببنائها السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣٠١هـ/ ١٧٤٨م ، حين كان والي اليمن محمد عزت باشا (شكل٣١)، والعرضي (أوردو) كلمة تركية تعني الجيش أو ثكنة الجيش، وقد تم بناؤها على أربعة أقسام سمي كل قسم بالقشلة وقد أسند بناؤها إلى المعمار اليمني "أحمد بن أحمد قصعة"[١].

القشلة الأولى، وقد شيدت كحاجز صد أول لأهم مباني العرضي وهو دار الجيوش وخصصت لدائرة تدريب الأفراد وسكن لهم، **أما القشلة الثانية،** فيطلق عليها دار الجيوش، وقد وجد أعلى مدخل هذه القشلة النص التأسيسي لها وهو عبارة عن لوح مستطيل قسم إلى ثلاثة أقسام متساوية نقش في القسم الأوسط شعار الجيش العثماني يتوسطه خط الطغراء العثمانية، وأما القسم الأول فقد نقش فيه النص التأسيسي والمكون من أربعة أسطر نفذت باللغة التركية وجاء النص التأسيسي على النحو الآتي:

- أولسون همشية شادوشن عبد الحميد كامرون
- أولدي زمان نندە يمن معمورة عدل وأمان
- تاريخمر أولدي روشنا مختار مانند سها
- يوقشله لي ١٣٠١ بناء شاهنشه دور زمان

١ أحمد قصعة هو معمار يمني قام ببناء منشآت العرضي ومنح لقب باشا بأمر من الوالي العثماني، المرشد التاريخي للعرضي ص ٢٣.

وأما القسم الأيسر فقد نقش فيه بخط الثلث باللغة العربية نص الترجمة بالعربية والذي جاء على النحو الآتي:

- شمس أبراج العلي عبد الحميد ذو المنن
- زين الدنيا بزينة العدل والحكم الحسن
- شيد السلطان دار ١٣٠١ الجيوش في اليمن

أما **القشلة الثالثة** (البياده)، فقد استخدمت كمقر لسكن كتيبة الجند المشاة.

أما **القشلة الرابعة** فقد خصصت لدائرة الضباط (مقر سكن الضباط)، ويعلو مدخلها لوح رخامي زين بنقش الطغراء باسم السلطان عبد الحميد خان الثاني وفي أسفلها تاريخ التأسيس ١٣١٨هـ.

إضافة إلى ذلك فقد أنشأ العثمانيون قلعة المدينة (قصر السلاح) وقد أحيط بسور ارتبط مع سور المدينة، ويضم القصر عدداً من المنشآت والمباني الإدارية والسكنية والمخازن والفرن المركزي، ويضم ثلاثة مساجد هي مسجد العادي، ومسجد القبة المرادية ومسجد القصر.

إلى جانب ذلك شيد العثمانيون المدرسة الصنائعية (دار الصنائع) والتي أسست في سنة ١٣١٣هـ من قبل الوالي العثماني حسين حقي حلمي لغرض التعليم والتأهيل الفني، وجلب إليها الخبراء والمدرسين من إسطنبول، وقد أقيمت خارج سور المدينة باتجاه الغرب (باتجاه التحرير) وهي اليوم المتحف الحربي.

الخاتمة:

تعكس العمارة مدى التأثير والتأثر في الحضارات والثقافات المختلفة على مر العصور، وقد مرت العمارة اليمنية بعصور مختلفة ومتباينة كان لبعضها تأثير على بعض تفاصيل العمارة ومن هذه العمارات التي تأثرت بها العمارة اليمنية الطراز الأموي المتمثل في المسجد النبوي والمسجد الأموي وذلك على تخطيط المساجد الجامعة في اليمن ومنها الجامع الكبير.

وكان لطراز العمارة العباسية تأثير واضح على عمارة وفنون العمارة اليمنية وقد تمثل ذلك في تخطيط مدينة زبيد التي أطلق عليها بغداد الصغرى، وكذلك في الجوانب الفنية مثل طراز سامراء ظهرت التأثيرات الإيرانية على العمارة الزيدية متمثلة في بعض عناصر وزخارف جامع ظفار ذيبين وجامع الإمام الهادي، وكان للعلاقات الطيبة بين الدولة الصليحية والدولة الفاطمية في مصر أثرها الواضح على العمارة في عصر الدولة الصليحية وخاصة في مسجد السيدة بنت أحمد من حيث المجاز القاطع والزخرفة المنفذة على المحراب والمنبر والضريح.

وقد تأثرت العمارة الرسولية بطرز العمارة الأيوبية والمملوكية وقد ظهر ذلك جلياً في تخطيط المدارس الإسلامية في اليمن، وكان للعلاقات التجارية بين اليمن والهند أثرها على العمارة اليمنية في زبيد وذلك بوجود المشاكي في عمارة منازل زبيد وكذلك على العمارة الحضرمية والتي تمثلت في منار ومسجد المحضار وقصر الكاف بتريم.

العثمانيون كان لهم بصمات واضحة على العمارة اليمنية في العصر العثماني وقد تمثل ذلك في العمارة الدينية من المساجد كالقبة البكيرية بصنعاء ومسجد جناح وغيرها، وفي العمارة المدينية وجد المفرج خارج المنزل العثماني في صنعاء ووجود شاذروان بجواره، إضافة إلى ذلك كان لها أثر على العمارة الحربية تمثلت بالعرضي ومنشآته.

Abstract:

Yemeni architecture is a unique cultural heritage, reflecting the diversity of cultures that have influenced it. Yemen has also been a historical destination for many peoples, traders, and empires, who exchanged architectural experiences, ideas, and techniques. These exchanges have shaped and developed Yemeni architecture, including its influences and interactions with other cultures.

Yemeni architecture has evolved over the ages through the continuous influence of other cultures. This is due to Yemen's strategic location as a commercial center, which attracted many cultures and civilizations, and became a point of intersection for trade and cultural exchange. Yemeni architecture was influenced by these interactions and absorbed them in its designs and the construction of its architectural identity. Among these influences were the Umayyad, Abbasid, Fatimid, Ayyubid, Mamluk, Ottoman, and Indian.

الأشكال:

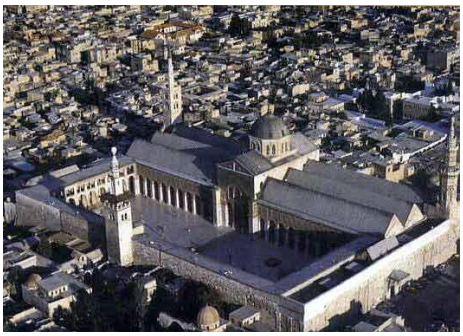

شكل (١) يوضح تخطيط الجامع الكبير بصنعاء والجامع الأموي

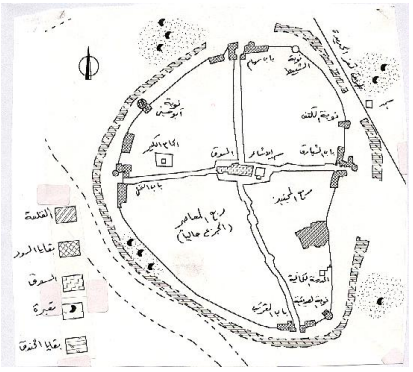

شكل (٢) يوضح تخطيط مدينة زبيد ومدينة بغداد

شكل (٣) يوضح زخارف سامراء وزخارف منبر ذمار ومنبر جامع ذي أشرق

شكل (٤) يوضح محراب ومنبر جامع جبلة

شكل (٥) يوضح المشكاوات في جامع الإمام الهادي

شكل (٦) يوضح الأقواس في ضريح راداكان في إيران وجامع ظفار ذيبين

شكل (٧) يوضح تاج عمود في جامع ظفار ذيبين

شكل (٨) يوضح زخارف الآجر الملونة على جدران جامع ظفار وعلى مئذنته

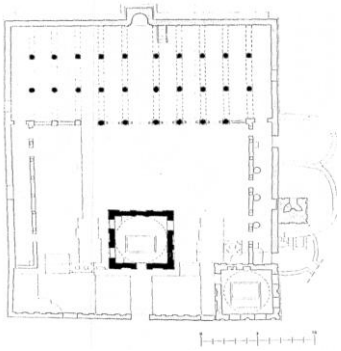

شكل (٩) يوضح مخطط جامع ظفار ذيبين

شكل (١٠) يوضح زخارف سقف جامع ظفار ذيبين

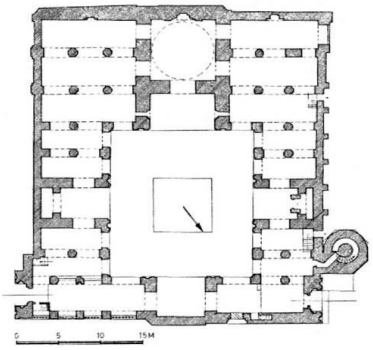

شكل (١١/ أ) يوضح تخطيط المسجد الجامع زوارة (آصلآن آبا)

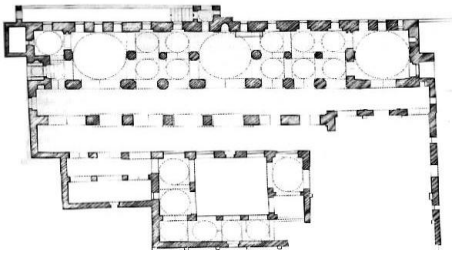

شكل (١١/ب) يوضح تخطيط جامع المظفر بتعز – عن فينيستر

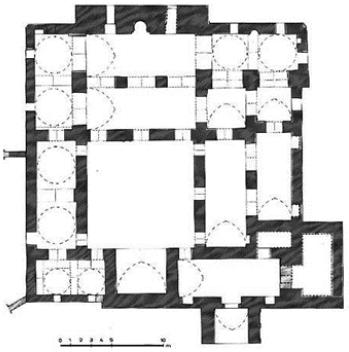

شكل (١٢) يوضح تخطيط جامع حيس عن فينستر

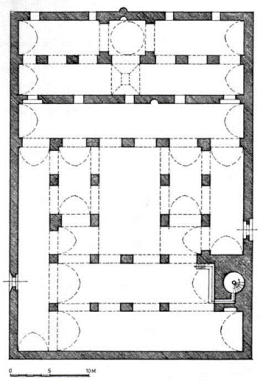

شكل (١٣) يوضح تخطيط المسجد الجامع خربوط عن آصلان آبا

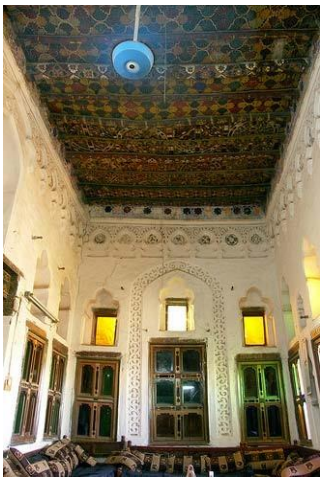

شكل (١٤) يوضح زخارف البيت الزبيدي

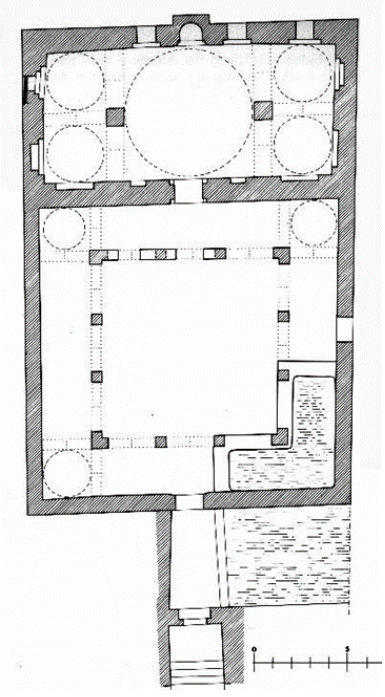

شكل (١٥) يوضح تخطيط المدرسة الأسدية عن فينستر

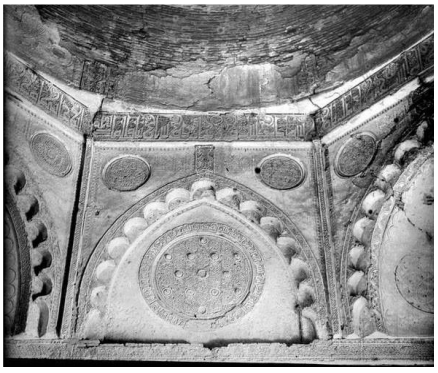

شكل (١٦) يوضح الزخارف ذات لعقود المفصصة في رقبة القبة الرئيسية لمسجد المظفر والتي ظهرت بنفس التشكيل في المدرسة الأشرفية وقبة الشيخ فضل في قيرغيزستان

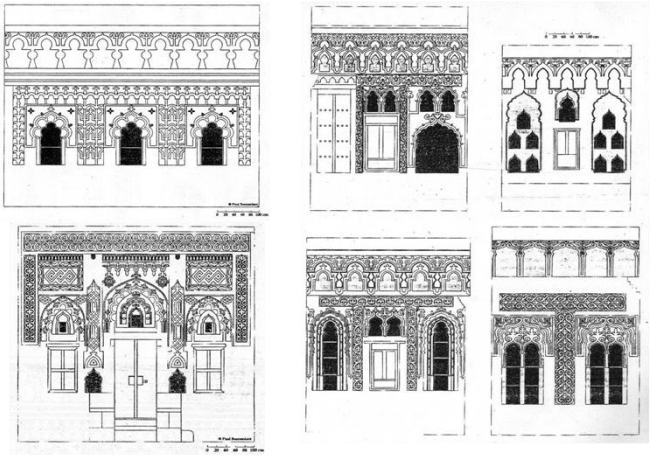

شكل (١٧) يوضح واجهات المنزل التقليدي بزبيد والزخارف المنفذة عليه عن بوننفان ص ٥٨، ٦٠، ٦٢

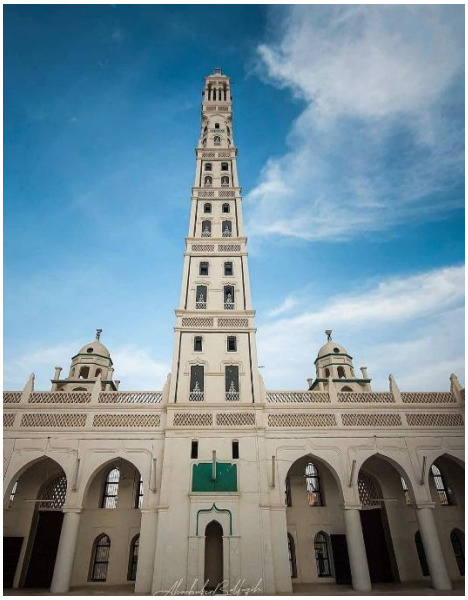

شكل (١٨) يوضح مسجد المحضار ومئذنته

شكل (١٩) يوضح قصر آل الكاف بتريم

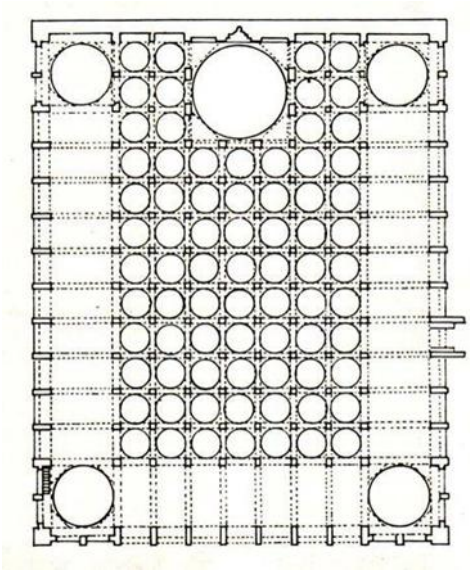

شكل (٢٠) يوضح تخطيط المسقط الأفقي لمسجد جلبرجا (هوج)

شكل (٢١) يوضح التغطيات بالقباب والأقبية ومناطق انتقال القباب بجامع جلبرجا

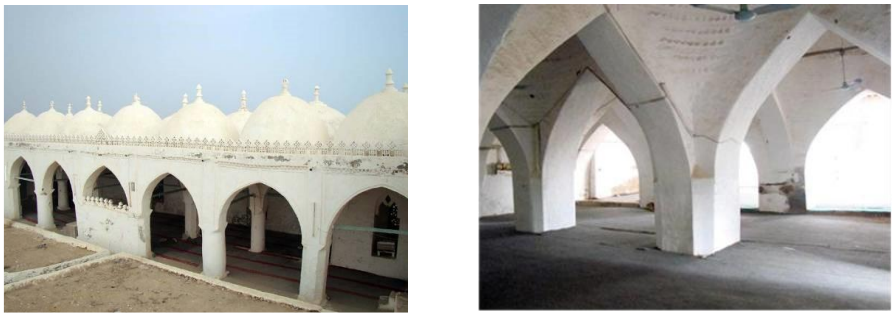

شكل (٢٢) يوضح التغطية بالقباب في الهند وزبيد

شكل (٢٣) يوضح مخل قبة البكيرية ومسجد الزمر

شكل (٢٤) يوضح سقيفة قبة البكيرية وقبة طلحة

شكل (٢٥) يوضح تخطيط مسجد جناح

شكل ٢٦ يوضح محرابي القبة البكيرية والقبة المرادية

شكل (٢٧) يوضح منبر البكيرية

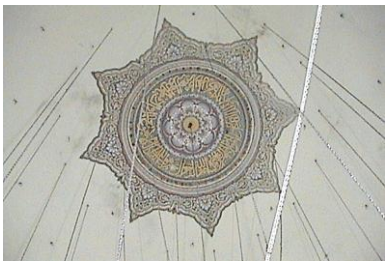
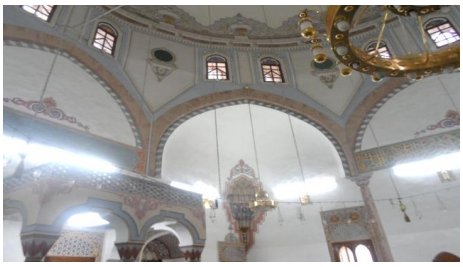

شكل (٢٨) يوضح زخارف الباروك والركوكو

شكل (٢٩) يوضح تخطيط مدينة صنعاء

شكل (٣٠) يوضح المنزل الصنعاني في العصر العثماني

شكل (٣١) يوضح تخطيط العرضي

ريدان

الهيئة العامة للآثار والمتاحف
General Organization of Antiquities and Museums
صنعاء

raydan@goam.gov.ye